ISSN 2992-1546

مجلة انتماء

دورية أكاديمية نصف سنوية تعنى بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات
تصدر عن قسم الأدب العربي بالمدرسة العليا للأساتذة بورقلة/ الجزائر

مجلة انـــتـــــحـــــــاء

دورية أكاديمية نصف سنوية تُعنى

بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات

تصدر عن قسم الأدب العربي بالمدرسة العليا للأساتذة بورقلة-

الجزائر

ISSN: 2992-1546

المجلّد الأول- العدد الثاني

أكتوبر 2024م

رئيس التحرير

د. فتيحة مولاي(المدرسة العليا للأساتذة- ورقلة)

سكرتير التحرير

د. زينة بورويسة(المدرسة العليا للأساتذة- ورقلة)

رئيس الهيئة العلمية

أ.د . بلقاسم مالكية(المدرسة العليا للأساتذة- ورقلة)

الهيئة العلمية

أ.د. سعد عبد العزيز مصلوح. قسم اللغة العربية وآدابها (جامعة الكويت).

أ.د. سعيد أحمد بيومي(المركز القومي للدراسات القضائية- مصر)

أ.د. محمد حسين مليطان (جامعة مصراتة- ليبيا) .

أ.د. مشري بن خليفة (جامعة الجزائر 2)

أ.د. عماد عبد اللطيف (جامعة الدوحة- قطر)

أ.د. جورج غريغوري قسم الدراسات العربية (جامعة بوخاريست- رومانيا).

أ.د. محمد محمد يونس علي (معهد الدوحة للدراسات العليا- قطر).

أ.د. عبد اللطيف السلمي (جامعة جدة- المملكة العربية السعودية)

أ.د. عبد العزيز عبد الباري (الجامعة الإسلامية العالمية القاهرة- مصر).

أ.د. إلهام المفتي كلية التربية الأساسية (جامعة الكويت)

أ.د. حمّام بلقاسم (جامعة الملك فيصل- السعودية)

أ.د. محمود محمد قدوم (جامعة بارتن- تركيا)

أ.د. أبو بكر حسيني(جامعة قاصدي مرباح ورقلة وعضو بمجمع اللغة العربية- الجزائر)

أ.د. عبد الحميد هيمة(جامعة قاصدي مرباح- ورقلة)

أ.د. سعاد بسناسي (جامعة وهران)

أ.د. كريمة رقاب(جامعة غرداية)

أ.د. عائشة برارات (جامعة غرداية)

أ.د. عادل محلو(جامعة الشهيد حمّة لخضر-الوادي)

د. سامية قاع الكاف (جامعة الجزائر 2)

مساعدو التحرير

د. حسين الأقرع(المدرسة العليا- ورقلة)

د. عبسى تومي(المدرسة العليا- ورقلة)

د. زكية عرعار(المدرسة العليا- ورقلة)

د. هند تمار(المدرسة العليا- ورقلة)

التدقيق اللغوي

أ. عبد الرحيم شنين(المدرسة العليا- ورقلة)

الإيداع القانوني

Issn 2992-1546

دليل المؤلف

تنشر المجلة المقالات والمقابلات ومراجعات الكتب العلمية

1. تقبل المجلّة الأبحاث غير المنشورة ورقيا وإلكترونيا وغير المستلّة من الرسائل الأكاديمية التي لم تقدّم إلى جهات أخرى لأجل النشر، ويتعهّد المؤلف بذلك.
2. **إجراءات تقديم المقالات**

ندعو كافة الباحثين الراغبين في نشر أبحاثهم في اللغة والأدب العربيين في مجلة المدرسة العليا للأساتذة بورقلة إلى الالتزام الكلي بالتعليمات الواردة في ملف التعليمات وشروط النشر، كما يجب أن تُرسل جميع المساهمات للنشر حصرا عبر البريد الإلكتروني المهني للمؤلف إلى حساب المجلة على منصّة المجلات العلمية الجزائرية

3. **توجيهات إلى المؤلفين:**

ندعو المؤلفين إلى قراءة التعليمات الآتية بكل عناية:

- ✓ الاطّلاع على دليل المؤلف الذي يحوي أخلاقيات البحث العلمي والنشر، وحقوق المؤلف الخاصة بالمجلة، والتعهّد بأصالة البحث من خلال هذا البريد الإلكتروني: intihaa@ens-ouargla:dz أو صفحة المجلة الإلكترونية.
- ✓ تقديم المقالات المقترحة بصيغة الوورد(Word doc)
- ✓ احترام نموذج المقال (القالب) المتوفر في الصفحة الإلكترونية للمجلة وإعداد البحث مطابقا له بتنزيله من خلال الرابط الخاص بذلك.
- ✓ بعد إعداد المقال وفق القالب المُحمَّل يُضغَط على أيقونة (إرسال مقال) لإرساله.
- ✓ بالضغط على الأيقونة تظهر للمؤلف استمارة تتضمن بيانات المقال والمؤلفين؛ العنوان، والملخص باللغتين، والكلمات المفاتيح، والاسم الكامل للمؤلف، وبريده الإلكتروني المهني، ومؤسسة الانتماء. بعد ملء كل البيانات وتحميل المقال على الموقع الإلكتروني، يتمّ الضغط على أسفل الاستمارة على أيقونة (إرسال مقال)
- ✓ **الإشعار باستلام المقال**: في حال نجاح الإرسال يتلقى المؤلِّف في بريده الإلكتروني رسالة استلام آلي.
- ✓ **المعاينة الأوليّة للمقال**: تكون عملية المعاينة الأولية، وهي معاينة شكلية سريّة من الطرفين؛ المؤلف والمحكّم لمطابقة المقال المعاييرَ الشكلية وفق النموذج المنشور إلكترونيا.

- ✓ **الإشعار بقبول المقال أو رفضه:** إذا تبيّن أنّ المقال يحترم قالب المجلة وشروط النشر يتمّ إشعار المؤلف بقبول النشر ومواصلة بقية المراحل، وإذا كان الأمر عكس ذلك يُشعَر المؤلّف برفض المقال.
- ✓ **تحكيم المقال**: بعد التأكّد من احترام المواصفات الشكلية، يَحكَّم المقالَ - بشكل سري محكّمان متخصّصان على الأقل بعد تشفيره وإغفاله. وبعد التحكيم النهائي يُرسل قرار النشر أو عدمه أو التحفّظ إلى المؤلف المرسِل.
- ✓ **فترة تقييم المقال:** تمتدّ فترة التحكيم ثلاثين يوما وتُمدّد مرة واحدة بخمسة عشر يوما من أجل إرسال تقرير الخبرة في حال اختلاف قرار المحكّميْن في نتيجة التحكيم إذ يُرسَل المقال إلى محكّم ثالث.

4. **الانتحال والسرقة العلمية**

تعدُّ السرقة العلمية كيفما كان حجمها أو شكلها سلوكا غير أخلاقي وغير قانوني يحاسب عليه القانون، ويتعرّض صاحبها لتبعات قانونية وفق ما هو معمول به.

تقديم المجلة

انتحاء دورية أكاديمية علمية محكّمة نصف سنوية تُعنى بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات تصدر عن قسم الأدب العربي بالمدرسة العليا للأساتذة بورقلة- الجزائر، تنشر البحوث النظرية والتطبيقية والميدانية، وهي مجلة منفتحة على مختلف التخصصات، تفتح صفحاتها للأعمال البحثية المختلفة ذات الأصالة والعمق والجدية والحداثة، التي تضيف الجديد من المعرفة في ميدانها، تستقبل الأبحاث من داخل الجزائر وخارجها وباللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية. يتمّ تحكيمها بشكل سري من طرف محكّمين متخصّصين.

وعليه كل من يريد المشاركة بعروض لكتب أو بقراءات نقدية أو بأخبار علمية، سيجد له فضاءً فيها. تسعى هذه المجلة إلى المساهمة في ترقية البحث العلمي وتثمينه وتشجيع النشر في مختلف المجالات العلمية.

مع شكرنا الجزيل للهيئة العلمية والفريق التقني وهيئة التحرير وكل من يشارك من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا الصرح العلمي، ويُسهم في مدّ الأواصر المعرفية، وكسر الحواجز المضروبة حول العلوم والمعارف .

انتحاء هو اسم هذه المجلة، وقد ورد في التفاتة ذكية لـ"ابن جني" وهو يعرّف النحوَ بأنّه « انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق مَن ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة». يشير "ابن جني" في هذا التحديد الدقيق إلى سرّ من أسرار الحياة الإنسانية، إنّه اللغة التي يتّجه الإنسان بها ونحوها في الوقت ذاته، سعيا وحركة وتوجّها وقصدا- وهو ما يلامس نواة الدلالة المعجمية لأصل (ن ح و)- فيمارس فعل الانتحاء على مستوى اللغة إذ يقصد أصول كلام العرب؛ فيتكلّم حسب ما كانت العرب تتكلّم به، ويتّبع أساليبهم. وتتساوق دلالات الانتحاء فمِن قَصْدِ كلام العرب والتوجّه نحو أصوله، وانتحاء الولد نحوَ والده إلى توجّه الكائن الحي بالنمو نحو مثير ما كما يفعل النبات نحو الضوء والماء، والرطوبة، والجاذبية في انتحاء موجب لا سالب، وفي كلّ الحالات هو تَطَلُّعٌ إلى الحياة، ولا شيء كالضوء والماء والحياة إلا العلم.

و الانتحاء اللغوي يمكّن الإنسان من عناصر اللغة، ومن ثَمَّ يحقق له الانتماء إلى أهل تلك اللغة أصلا أو إلحاقا. واللغة هنا لا تكون محصورة في المستوى اللساني وحده، بل لها مستويات عدة، تتحقق عبر علم النحو في مفهومه الواسع، المرتبط بفعل الانتحاء، و هذه المستويات هي:

1. المستوى اللساني الذي يمسّ القواعد اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.
2. المستوى البلاغي الذي يمسّ قواعد الاشتغال الميداني للغة، والتي ترتبط بمفهوم المقام في أبعاده الثقافية والمعرفية.
3. مستوى آداب الخطاب، ويتضمن أخلاقيات الكلام وآدابه المستمدة من أعراف المجتمع، والمنسجمة مع المواقف التخاطبية، التي يجد المتكلم نفسه فيها.

4. تعلّم اللغة وتعليمها، عبر الاكتساب العفوي لها، من خلال التنشئة الاجتماعية للإنسان منذ ولادته داخل الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها، أو عبر المؤسسات التربوية التي تعزّز هذا الاكتساب للمتحدثين باللغة الأم، أو في اكتساب الأجانب الراغبين في تعلمها.
5. مستوى الانتماء، فاللغة تمنح الإنسان جزءًا من هويته، وتمكّنه من التواجد داخل النسق الاجتماعي والثقافي والسياسي للجماعة التي ينتمي إليها، كما أنّ تعلّم الإنسان للغة الآخر يُوجِد فضاءً وفرصا للتعارف والتواصل وتبادل القيم والأفكار والمعارف، وخلق جوّ من التفاهم والتعايش معا.

مجلة الانتحاء تركّز على هذه الأبعاد كلها، لذا فهي تفتح مجال البحث واسعا، أمام العلوم الإنسانية في تعاملها مع اللغة، والعلوم اللسانية والتعليمية، لتكون المجلة نقطة التقاء وتفاعل وتكامل معرفي مثمر بين هذه المجالات البحثية كلها.

وتجمع المجلة بين اسمها و رؤيتها العلمية في ثنائية لا تنفصل، في التوجّه القصدي والممنهج نحو الأفضل في محاولة لبناء النموذج الأصحّ، وذلك ما تروم المجلة التي وُضِعَت على مبدأ الانفتاح على العلوم و الانتحاء نحو ضوء العلم أينما كان، و الاتجاه نحو التكامل المعرفي الذي يقاربها من موجبات الكمال العلمية. وعليه فقد سطّرت المجلة لنفسها جملة من الأهداف تسعى لتحقيقها، منها:

1. تحقيق مبدأ انفتاح اللغة العربية، من خلال التفاعل المعرفي مع مختلف التخصّصات العلمية كعلم الحاسوب، و الرياضيات، والطب، والقانون ...
2. توطين اللغة العربية في البحث العلمي الحديث انطلاقا من مبدأ أن قوة اللغة في قوة البحث العلمي الذي تقدمه.
3. تحقيق الأمن اللغوي والثقافي للمجتمع العربي من خلال إنتاج العلم والمعرفة باللغة العربية.
4. تحقيق ثنائية الجِدّة/ الجدية في طرح الموضوعات.

سننتحي إذًا عبر هذه المجلة انتحاء أرضيا جاذبيا ومائيا نحو أصالتنا وتراثنا العربي في دراسات جادة تحاول تجسير المعارف بين التراث الأصيل الخالد والمعاصر الحداثي الجاد.

وسننتحي ضوئيا نحو كل معرفة جادة تضيف شيئا جديدا إلى الفكر الإنساني في أيّ مجال من مجالات الحياة ضمن ميادين هذه المجلة. وسننتحي انتحاءً موجبا نحو رقيّ هذه المجلة وتصنيفها تصنيفا عالميا.

أد. بلقاسم مالكية.
د. زينة بورويسة
د. فتيحة مولاي

مجالات المجلة

كل ما يرتبط باللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات، منها:

- اللغة واللغويات.
- التعليم والتعليمية
- علم النفس اللغوي
- علم الاجتماع اللغوي
- الأدب والنظريات الأدبية
- النقد الأدبي
- الحضارة العربية والإسلامية
- اللغة والدراسات القرآنية
- علم النفس
- علم الاجتماع
- علم التربية

انتحاء دورية أكاديمية علمية محكّمة نصف سنوية تُعنى بقضايا اللغة والأدب والإنسانيات والاجتماعيات

فهرس المحتويات

عنـــــــــوان المقـــــال	الصفحة
دليل المؤلف	6-5
تقديم المجلة	9-7
مجالات المجلة	10
توظيف التراكيب الإسنادية في النصوص القانونية أ.د. سعيد أحمد بيومي	20-11
ابن خلدون؛ المصطلح والعمران أ.د. بلقاسم مالكية	39-21
اللسانيات والقانون؛ التكامل المعرفي بين القانون والعلوم اللغوية د. فتيحة مولاي أ. ياسمين بوداود	69 -40
الدلالة الصوتية للصوائت القصار في القرآن الكريم د. زينة بورويسة	85-70
الرحلات الشعرية؛ ماهيتها وأهمّ خصائصها د. هند تمار	104-86
النقد الجزائري بين البوادر والتخصّص د. وردة بالي	123-105

مجلّة انتحـــــاء

Intihaa Journal

ISSN : 2992 -1546المجلد (01) العدد(02)(2024): رقم صفحة البداية11 – رقم نهاية الصفحة20

توظيف التراكيب الإسنادية في النصوص القانونية

The Use of Predicative Syntactic Structures in Legal Texts

أ.د.سعيد أحمد بيومي[1]

المركز القومي للدراسات القضائية – جمهورية مصر العربية

تاريخ الاستلام 2024/11/26. تاريخ القبول2024/11/30 تاريخ النشر2024/12/07

ملخص:

تتسم لغة القانون بالاستقرار التركيبي واستعمال أنماط تركيبية محددة في بناء الجملة، وهذا الاستقرار يدعم تآلف القواعد القانونية لدى المخاطبين بأحكامها ويحقق تماسكًا وحضورًا ذهنيًّا في تعاملهم معها. لكن كيف تُوظّف التراكيب الإسنادية في النصوص القانونية؟ هذا ما يجيب عنه المقال.

الكلمات المفتاحية: الإسناد، الجملة، التركيب، النص، القانون.

Abstract:

The language of law is characterized by structural stability and the use of specific syntactic patterns in sentence construction. This stability supports the coherence of legal rules among those addressed by its provisions and ensures cohesion and mental presence in their interaction with it. But how are predicative structures employed in legal texts? This is what the article answers.

Key words: Predicate, Sentence, Syntax, Text, Law

تتسم لغة القانون بالاستقرار التركيبي، أي: استعمال أنماط تركيبية محددة في بناء الجملة، وهذا الاستقرار يدعم تآلف القواعد القانونية لدى المخاطبين بأحكامها ويحقق تماسكًا وحضورًا ذهنيًّا في تعاملهم معها.

ويُصاغ النص القانوني على وفق بنية تنظيمية مُتعارَف عليها، وفي ضوء مبادئ عامة هي: الدقة، والإيجاز، والوضوح. وتحكمها قواعد تنظيمية، هي: جودة النص، وفعاليته، ومواءمته. وهو في مُجمله قطعة مُثمرة من الكلام، ذات دلالة وذات وظيفة؛ قول لغويّ مكتفٍ بذاته ومُكتمل في دلالته. فكما هو وحدة لغوية تواصلية، هو وحدة قضوية دلالية تتجسد في شكل جمل.

تتسم لغة القانون بالاستقرار التركيبي، فهما طرفان، مسند ومسند إليه يُتيحان إسناد قانونيّ حكم «فعل قانوني» إلى مخاطب بهذا الحكم «فاعل قانونيّ». فالفعل القانوني هو ما يعبر عن حق أو امتياز أو سلطة أو التزام أو مسؤولية، والفاعل القانوني هو الشخص الذي يخوّل الحق أو الامتياز أو السلطة أو يفرض عليه الالتزام، والذي يقال فيه: إن شخصًا ما يجوز له أو لا يجوز، أو يجب عليه أو لا يجب، أن يفعل أو لا يفعل أيّ تصرف، أو يخضع لفعل ما[2]. والتركيب الإسنادي قد يكون مستقلا في المعنى أو غير مستقل.

فأما التركيب المستقل، فمعناه مقصود بذاته، ووظيفته الأساسية سواء أكان اسميًّا أم فعليًّا، بيانُ مَن يفعل وماذا يفعل، ويقصد بمَن: المخاطب بالحكم القانوني، ويقصد بماذا: ما يجب عليه أو يجوز له أو يحظر عليه أن يفعله. فالتركيب المستقل الواحد يعني مسندًا واحدًا ومسندًا إليه واحدًا، كأن يكون فعلا قانونيًّا واحدًا وفاعلا قانونيًّا واحدًا، أي ما يمكن أن يستعمل منفردًا جملة بسيطة.

ففي هذا النص الدستوري: «الإسلام دين الدولة»[3].

تجد الحكم محمولا على تركيب إسناديّ اسمي «مبتدأ + خبر»، لا يعد جزءًا من تركيب آخر، ويفيد معنى مستقلا مقصودًا بذاته، وهو أن دين الدولة هو الإسلام.

وفي هذا النص: «لا يجوز انتهاك حُرمة حياة المواطن الخاصّة...»[4].

نجد تركيبًا فعليًّا لا يعد جزءًا من تركيب آخر ويفيد معنى مستقلا مقصودًا لذاته، وهو عدم جواز انتهاك حرمة الحياة الخاصة للمواطن.

وثمة جنوح في لغة القانون إلى توظيف التراكيب الاسمية في بناء عبارة النصوص الدستورية بصفة خاصة لما تحمله من مبادئ ثابتة ودائمة ومُركزة، فضلا عن القواعد والأصول التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة، وهي باعتبارها كذلك تتبوأ مكان الصدارة بين قواعد النظام العام التي يتعين احترامها والعمل بموجبها لكونها أسْمى القواعد الآمرة وأحقها بالنزول على أحكامها. وهو ما يتناسب معه توظيف التركيب الاسمي لحمل الأحكام التي تتضمنها نصوص هذه القواعد على وجه الثبات والاستقرار. كما نجد توظيفًا للتراكيب الإسنادية الاسمية في بناء عبارة مواد التعريفات في مستهلات القوانين، لدلالة هذه التراكيب على ثبات التعريف ورسوخه على امتداد النص القانوني.

وتضيف التراكيب الإسنادية الفعلية تنوعًا في متعلقات الفعل يُتيح استقصاء جوانب الحكم القانوني المعبّر عنه؛ لذا يكثر توظيفها في بناء عبارات نصوص القوانين، كما يتضح في نصوص الجزاءات والعقوبات بصفة خاصة، كما في هذا النص من قانون العقوبات الجزائري:

«يعاقب بالحبس المؤقت من عشر سنوات إلى عشرين سنة كل من: 1- دخل مختفيًا... 2- نظّم بطريقة خفية... 3- حلّق فوق الأرض الجزائرية... 4- قام بعمل رسومات... 5-

أقام في دائرة معينة... 6- أفشى إلى شخص لا صفة له معلومات...»[5].

وأما التركيب غير المستقل، فكلمتان أو أكثر تربط بينهما علاقة إسناد ويتكون منهما معنى مفيد ولكنه غير مستقل بذاته؛ فدلالته جزئية ترتبط بدلالة التركيب المستقل الذي يأتي مُكملا له. والتركيب غير المستقل لا يستعمل منفردًا جملة بسيطة، بل هو جزء مكمل يُقيد المعنى ويحقق الاكتفاء الذاتي للجملة القانونية، كتحديد الظروف التي يحدث فيها الفعل «الفرض»، أو الشروط التي ينبغي توافرها لحدوثه «القيود والاستثناءات»، وهو ما يخدم المشرع حين يريد للجملة الواحدة أن تعبر في النص الواحد عن فكرة واحدة رئيسة تتضمن حكمًا قانونيًّا، وأفكارٍ أخرى تابعة لها تقيدها وتحدد جوانب هذا الحكم وملابسات تطبيقه، ومن التراكيب الإسنادية غير المستقلة: جملة النعت، وجملة الحال، وصلة الموصول، والجملة الاعتراضية.

ويبدو الترابط بين التراكيب المستقلة والتراكيب غير المستقلة على امتداد النص القانوني في أجلى مظاهره في استعمال الربط الشرطي، أي الربط بين جملتين إحداهما شرط وتأتي على هيئة تركيب غير مستقل، والأخرى جزاء وتأتي على هيئة تركيب مستقل، بواسطة أداة ربط تركيبية تفيد معنى الشرط. وكلتا الجملتين- الشرط والجزاء- لا تستغني إحداهما عن الأخرى، فكل واحدة منهما تفتقر إلى أختها، يقول الإمام ابن القيم: «الشرط والجزاء جملتان قد صارتا بأداة الشرط جملة واحدة، وصارت الجملتان بالأداة كأنهما مفردان لشبههما بالمفردين في باب الابتداء والخبر»[6].

وأساس علاقة الربط الشرطي إفادة معنى الاستلزام؛ إذ يرتبط التركيب المستقل «جواب الشرط» بالتركيب غير المستقل «فعل الشرط» ارتباطًا تركيبيًّا وارتباطًا وظيفيًّا ودلاليًّا في الوقت ذاته، وذلك بفعل أداة الشرط. ويعني ذلك أن

أدوات الشرط تعمل عملا نحويًّا هو تعليق الجزاء بالشرط، وعملا وظيفيًّا هو توليد معنى جديد خارج عن معنى الشرط[7]. ففي النص على أنه:

إذا تسلم المشتري المبيع وجب عليه
التحقق من حالته عندما يتمكن من
ذلك حسب قواعد العمل السارية[8].

فإن جملة الشرط «تسلم المشتري المبيع» كانت تفيد قبل دخول أداة الشرط عليها فائدة يحسن السكوت عليها، أي كان لها معنى مستقل، ولكن بعد دخول الأداة عليها صارت ناقصة المعنى ولا تفيد شيئا «تركيبًا غير مستقل»، فاحتاجت من ثم إلى جملة الجزاء «وجب عليه التحقق من حالته».

وشدّت الوثاق بين الجملتين أداة الشرط «إذا» التي تفيد التحقيق بحيث لم تستغن إحدى الجملتين عن الأخرى، فأصبحت كلتاهما وكأنهما جملة واحدة. وتحمل جملة الجزاء التي ترد على هيئة تركيب مستقل مضمون الحكم القانوني، وهو وجوب التحقق، أما جملة الشرط فهي قيد له. وعلى ذلك فإن الشرط اللغوي- كما يقول الأصوليون- يدخل على العام ويخصصه، أي يخصص عموم العبارة المتضمنة معنى الجزاء[9].

وحين يأتي الحكم القانوني محمولا على الجملة الشرطية «الشرط والجزاء»، فإن هذه الجملة تكتسب- شأنها الفعل الإنجازي- قوة فعل الكلام لدى المخاطبين بأحكام القانون[10]. فلا غرو أن يعتمد المشرع في بناء القواعد القانونية اعتمادًا كبيرًا على الربط الشرطي، إذ يتيح له التماسك بين جملتي الجزاء والشرط أن يضيف بينهما تراكيب وعبارات مقيدة للمعنى يستوفي بها جوانب القاعدة القانونية ويحيط بعناصرها؛ حيث الخيط الدلالي مشدود بين الشرط والجزاء. وأكثر ما يتضح ذلك في نصوص قوانين العقوبات، حيث

الحاجة إلى تحديد عناصر الفعل المجرم، والحالات والفروض التي ينطبق فيها العقاب المقرر.

وعلى ذلك، يشتمل كل نص قانوني على جملة رئيسة نواة تُصاغ على هيئة تركيب إسنادي يتألف من مسند ومسند إليه، وتحمل حكمًا بالإلزام أو الإباحة أو الحظر، فهي جملة حكمية، وهي جملة نصية. وقد يشتمل النص القانوني كذلك على جملة تابعة أو أكثر تقيد الحكم الوارد في الجملة الرئيسة، وهي جمل غير نصية في ذاتها.

ومن التوالي بين الجمل سواء أكانت رئيسة أم تابعة، نصية أم غير نصية، يتشكل الإنشاء في النص القانوني؛ فما هو إلا مجموعة منظمة من القضايا والمركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري موضوعي أو جملة أساس من خلال علاقات منطقية دلالية.

ويأتي الإنشاء في النصوص القانونية محمولا على فعل إنجازي يحمل مضمون الحكم القانوني ويمثل القوة المقصودة بالقول: «الوجوب- الحظر- الجواز»؛ إذ تنأى لغة القانون عن استعمال صيغ «افعل»، و«لتفعل»، وعن استخدام صيغة «لا تفعل» للدلالة على النهي، فاستعاضت عنها بالفعل الإنجازي، مثل: «يجب» للتعبير عن الإلزام. و«يجوز» للتعبير عن الإباحة وتخويل السلطة التقديرية. و«يحظر» للتعبير عن الحظر المقترن بعقوبة.

والنصوص القانونية إنما تحمل على الإنشاء وليس على الخبر، فلا يحسن أن يقال لمن قال لامرأته «أنت طالق ثلاثا»: صدقَ أو كذب. بخلاف الخبر فإنه قابل للتصديق والتكذيب، وعلى الرغم من ذلك يظل الإنشاء في النصوص القانونية وضعًا عُرفيًّا لا لغويًّا؛ فعلى الرغم من أن لفظ الطلاق «الطاء واللام والقاف» موضوع في اللغة لإزالة مطلق القيد «يقال: لفظ مطلق ووجه طلق وحلال طلق وأطلق فلانًا من الحبس»، وقيد العصمة أحد أنواع القيد؛ نقول: على الرغم من ذلك فإن الفقهاء يفرقون بين قوله: «أنت طالق» وقوله: «أنت

منطلقة». فألزموا بالأول الطلاق من غير نية، ولم يلزموا بالثاني إلا بالنية، ولم يكتفوا بالوضع الأول «اللغوي»، وما ذاك- كما يقول الإمام القرافي[11]- إلا لأن لفظ «طالق» نُقل للإنشاء ولم ينقل لفظ «منطلقة» له، فلو اتفق زمان ينعكس الحال فيه ويصير «منطلقة» موضوعًا للإنشاء و«طالق» مهجورًا لا يستعمل إلا على الندرة لم يلزمه الطلاق بلفظ «طالق» إلا بالنية وألزمناه بلفظ «منطلقة» بغير نية عكس ما نحن عليه اليوم، فعلمنا أن لفظ «الطلاق» لم يوجب إزالة العصمة بالوضع اللغوي بل بالعرف الإنشائي.

وهكذا، فإن إيراد الإلزام في النصوص القانونية في صيغة المضارع المرفوع هو من قبيل العُرف الإنشائي؛ ذلك أن هذه الصيغ لا يقصد بها قول شيء ما، بل يقصد بها إنجاز هذا الشيء، ويكون ذلك بالامتثال لما تضمنه النص من حكم قانوني، وهذا هو مفهوم العبارة الإنشائية. فحين ينص في القانون المدني على أن:

«تثبت الولادة والوفاة بالسجلات المعدة لذلك»[12].

فالمشرع في هذا النص لا يخبر باستخدام صيغة المضارع المرفوع «تثبت» عن مدلول الجملة؛ ومن ثم لا يحتمل قوله الصدق والكذب، ولكنه يصدر أمرًا بإلزام كل من يولد له أو يتوفى له بإثبات ذلك بالسجلات المعدة لهذا الغرض. وهذا النوع من الإنشاء يندرج تحت صنف الإنشاء الصريح، وهو الإنشاء الواضح في التصريح بالقوة القولية، فعندما تقول: أدّ الأمانة، فقد تحمل الصيغة على الأمر أو النصح أو الإرشاد...إلخ، ولكن عندما تقول «آمرك أن تؤدي الأمانة» أو «يجب أن تؤدي الأمانة» أصبح المنطوق واضحًا في التصريح بالقوة القولية، وهي الأمر والوجوب، ومن ذلك قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا»[13].

وتدور دلالة التراكيب الإسنادية في فلك هذا الضرب من الإنشاء درءًا لتعدد التأويلات التي تخرج بالنص القانوني عن غايته، فضلا عن أن العرف

جرى منذ عرفت اللغة العربية القانون الوضعي على استعمال هذه الصيغ لإنشاء الأحكام القانونية، وكل ما نقلته العادة لمعنى، صار صريحًا لذلك المعنى بالوضع العرفي.

ويترتب على كون التركيب الإسنادي مستقلا أو غير مستقل في النص القانوني إدراك الحكم الذي جاء محمولا عليه على وجهه الصحيح، ويؤكد ذلك الإمام القرافي بقوله: «كل لفظ لا يستقل بنفسه إذا لحق لفظا مستقلا بنفسه، صار المستقل بنفسه غير مستقل بنفسه»[14]. ومفاد ذلك أن استخلاص دلالة التركيب المستقل في النص القانوني يرتبط بما يتصل به من تركيب غير مستقل، واحدًا أكان أم أكثر.

ولئن كان معنى التركيب القانوني بوجهٍ عام يتحقق من خلال علاقة الإسناد الجملي، وهي العلاقة التي تربط في إطار الجملة الواحدة بين المسند والمسند إليه، وبدون هذه العلاقة- أي علاقة الإسناد- تكون الجملة كما يقول الزمخشري في «المفصل» في حكم الأصوات التي حقها أن ينعق بها؛ فإن العلاقة التي تجمع بين تركيبين إسناديين أو أكثر على امتداد النص القانوني، هي محور الإسناد النصي، وهو متحقق في الجملة المركبة التي هي أوسع نطاقًا من الجملة البسيطة، وتدخل في عناصرها جملة أخرى تقوم بوظيفة ما في بنائها، وتتكون من تركيبين إسناديين لا يعتمد أحدهما على الآخر، فالجملة المركبة تتعدد فيها التراكيب الإسنادية، ومثالها في الدستور الجزائري النص على أن:

اللّغة العربيّة هي اللّغة الوطنيّة والرّسميّة.

تظل العربيّة اللّغة الرسميّة للدّولة[15].

ويضع المشرع لكل من المسند والمسند إليه في ضوء علاقة الإسناد التي تربط بينهما في النصوص القانونية قيودًا وأوصافًا تحدد معالم الجملة الحكمية الرئيسة والجمل التابعة التي تضيف تقييدًا لمعناها، وأبرز هذه المعالم

أن كل جملة تحتوي- في الأغلب- على فكرة واحدة لا أكثر، وإذا كان من الضروري أن يحتوي النص القانوني على عدد من الأفكار المتصل بعضها ببعض (جملة حكمية وجملة تابعة أو أكثر)، وجب على الصائغ أن يضعها في نصوص (مواد فرعية)، أي في صورة جمل تشريعية منفصلة، أو بنود، وهو ما يعرف بأسلوب التبنيد، أي تقسيم الجملة القانونية إلى أجزاء صغيرة.

وأوضح ما تتضح علاقة الإسناد الجملي في النص القانوني في الجملة البسيطة- الجملة التي تحمل فكرة واحدة تتكون من تركيب إسنادي واحد، إما أن يكون فعليًّا (فعل وفاعل) أو اسميًّا (مبتدأ وخبر)- ولا تحتوي الجملة البسيطة على جملة أخرى تقوم بوظيفة ما فيها. وثمة خلاف بين الباحثين حول احتمالية تحقق النص في جملة واحدة، فمنهم من رأى أن الجملة تدخل في إطار لسانيات النص مادامت معالجتها لا تقتصر على الجانب التركيبي، وإنما تتعداه بإدراج الجانبين الدلالي والمقامي، ومنهم من رأى أن معالجة الجملة تظل في إطار النحو وإن اتسع منظور البحث بإدراج الجانبين: الدلالي والمقامي.

ونميل في إدخال الجملة القانونية في دائرة النص إلى أن كل جملة- اسمية أكانت أم فعلية- تحمل في سياق القانون حكمًا مستقلا ولو كان تفسيرها مرتبطًا بما سبقها أو يلحقها، فهي نص قائم بذاته.

([1])خبير الصياغة بمجلس الدولة المصري، ومحاضر بالمركز القومي للدراسات القضائية.

(2) لا يلزم في النص القانوني أن يكون الفاعل النحوي هو ذاته الفاعل القانوني، فإذا نص على أنه: «لا يجوز انتهاك حُرمة حياة المواطن الخاصّة». فالفاعل القانوني هو السلطة المخاطبة المعنية بإعمال مقتضى النص، وليست هي الفاعل النحوي في تركيب الجملة «انتهاك».

(3) المادة (2) من الدستور الجزائري.

(4) المادة (46) من الدستور الجزائري.

(5) المادة (70) من قانون العقوبات الجزائري الصادر بالأمر رقم الأمر رقم (66-156) المؤرخ 18 من صفر عام 1386هـ الموافق 8 من يونيو عام 1966م.

(6) ابن قيم الجوزية الدمشقي: **بدائع الفوائد**، دار الخير، دمشق، 1994، المجلد الأول، ص 41. وفي النصوص القانونية ترتبط التراكيب غير المستقلة بالتراكيب المستقلة ارتباطًا معنويًّا أيضًا، بحيث لا

يمكن استخلاص دلالة أيّ منها على وجهه الصحيح بمعزل عن الآخر.

(7) مازن الوعر: **جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي**، الشركة المصرية العالمية للنشر .لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999، ص 14.

(8) المادة (380) من القانون المدني الجزائري.

(9) محمد عبد العاطي محمد: **مباحث أصولية في تقسيمات الألفاظ**، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007،ص171.

(10) الشرط في النصوص القانونية هو شرط افتراضي يعبر عن الربط بين أحداث يفترض صدقها في عالم متحقق، وقد عبر عنه فان دايك بصيغة (إذا كان.. إذن كان)، ويكتسب هذا الشرط أهمية مخصوصة لإنتاج ضروب التعميم، ومن ثم صياغة القوانين والمبادئ والقواعد على هيئة مقررة ومثبتة. انظر: فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا للشرق، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2000م، ص ص115: 116.

(11) الإمام القرافي (شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن إدريس)، المتوفى سنة 684هـ): **الفروق**، عالم الكتب، بيروت، الجزء الأول، ص 38.

(12) المادة (26) من القانون المدني الجزائري.

(13) سورة النساء، من الآية (58).

(14) الإمام القرافي: الفروق، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ص 114: 115.

(15) ثمة نوع ثالث من الجمل يتألف من تركيب مستقل وتركيب أو أكثر غير مستقل، وتربط بينهما أداة ربط تركيبية، كأدوات الشرط وأدوات التعليل، وهذا النوع من الجمل يستعمل لحمل التفاصيل والتوضيحات اللازمة لأحكام التشريع، لذلك يكثر استعماله في صياغة اللوائح التنفيذية للقوانين.

Intihaa Journal
ISSN :2992-1546المجلد (01) العدد(02)(2024): رقم صفحة البداية21– رقم نهاية الصفحة 39

ابن خلدون؛ المصطلح والعمران
Ibn Khaldun: Terminology and Civilization

أ.د. بلقاسم مالكية
malkia.belkacem@ens-ouargla.dz
مخبر الوسائط التعليمية- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة
المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

تاريخ الاستلام:2024/10/23 تاريخ القبول:2024/12/30 تاريخ النشر:2024/12/07

ملخص:

يعالج المقال العلاقات القائمة بين المصطلح والعمران عند "ابن خلدون"، فالعمران نسق عام يشمل النشاطات الإنسانية كلّها؛ من العلاقة بالمحيط الطبيعي إلى الإبداع الأدبي، مرورا بالدولة والاقتصاد والتعليم والعلم، وفي إطار هذا النسق قامت علاقات متعدّدة بين المصطلح والعمران عبر وسائط هي: العلم واللغة والمعرفة، فكان المصطلح حاضرا في بناء المعرفة وضبط العلوم وتحويل اللغة من المجال العام المشترك إلى المجال الخاص بفئة معيّنة داخل المجتمع مثل المتصوّفة.

الكلمات المفتاحية: العمران، المصطلح، اللغة، العلم، التصوّف.

Abstract

The article addresses the relationships between terminology and civilization in the thought of Ibn Khaldun. Civilization, as he defines it is a comprehensive framework encompassing all human activities—from the relationship with the natural environment to literary creativity, including the state, economy, education, and science. Within this framework, various relationships emerged between terminology and civilization through intermediaries such as science, language, and knowledge. Terminology played a pivotal role in constructing knowledge, regulating sciences, and transforming language from a shared public domain to a specialized domain within certain groups in society, such as the Sufis.

Keywords: Civilization, Terminology, Language, Science, Sufism

1. مقدمة

شغل "ابن خلدون" العَالَم وأشغله، فراح يبحث في تراثه، ويُقلِّب كلّ عناصره، فتكوَّن من جرّاء ذلك تراث واسع من الدّراسات في مناهجه، ووجهات نظره، وبموضوعاته ولغات تعبيره، ممّا يجعل الإحاطة بكلّ ما كُتِب عن ابن خلدون أمرًا ليس بالسّهل على مؤسّسات جماعيّة تتفرّغ لهذه العملية، فكيف بالأمر لباحث واحد. ولعلّ في هذه الكثرة والتّنوّع ما يثبّط عزيمة كلّ مُقبل على دراسة ابن خلدون دراسة جادّة، تُحاول الاجتهاد لإيجاد منفذ إلى عالَم "ابن خلدون" لم يسبق الدّخول منه إليه، والكشف عن جوانب جديدة لم يسبق إليها السّابقون. إنّ تراث "ابن خلدون" لم يتغيّر؛ حيث لم تُكتشَف نصوص جديدة له، لكن عالم القراءة والتّأويل في تطوّر مستمرّ، ممّا يمكّن من إعادة بناء التّصوّر الخلدوني، والبحث فيه وتأويله، وإعادة صياغة مكوناته. وهذا ما سنحاول الاجتهاد في إنجازه، في هذه المحاولة المتواضعة.

2. المقاربة الخلدونية

تنطلق مقاربتنا الخلدونية من كون "ابن خلدون" وعصره وفكره هي عناصر نصية؛ ذلك أنه وعصره –بخاصّة- لم يعد لهما وجود إلّا داخل نصوص كتبها "ابن خلدون"، أو معاصروه، أو من جاء بعدهم، لذلك تجدنا نبحث عن هذه

الرؤية داخل سلسلة من النّصوص المتداخلة فيما بينها، والتي يمكننا تمثيلها وفق الشّكل الآتي:

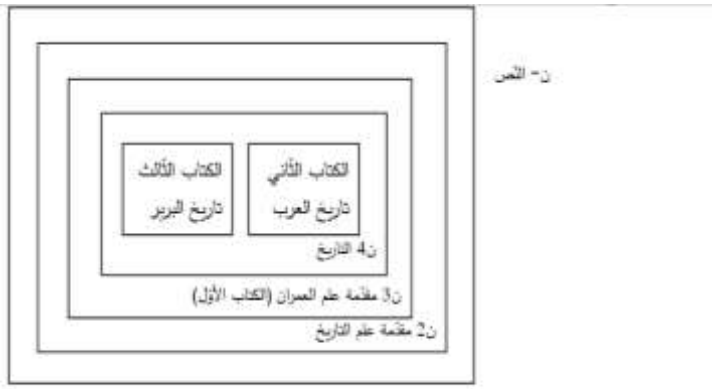

إنّ هذا الشّكل يحاول أن يعكس لنا بصورة مرئية بنية الرّؤية الخلدونيّة في هيكلها العامّ، الذي يؤطّر كلّ الجزئيات الأخرى التي ستكشف عنها التّحاليل اللّاحقة.

1.2. ولعلّ أوّل الخطوات في مقاربة الرّؤية الخلدونيّة هي ربطها بالظّروف العامّة التي عاشها "ابن خلدون"، بصفته فردا من جهة، وعنصرا من عناصر عصر بكامله. ومن البديهيات الكبرى التي لم يعد هناك خلاف حولها هي: أنّ "ابن خلدون" نتاج التّحوّلات التي عرفها عصره في كلّ المجالات. فهو كان مشاركًا في أحداث عصره، ومعارف عصره مشاركة عميقة وشاملة.[1] وقد استمدّ آراءه من المشاركة المعرفيّة والعلميّة، ومن ثقافته التي تكوّنت ضمن تيارات عصره التي هي خلاصة لرحلة طويلة عرفها المجتمع العربيّ الإسلاميّ في المشرق والمغرب.[2] فهو من هنا «لم يكن بدعًا في القرون الوسطى».[3] ولذا فإنّ الكثير من الباحثين الذين عزلوا "ابن خلدون" عن السّياق العامّ الذي عاش فيه، وعن التّصوّر الطّبيعيّ في مجالات البحث والفكر وقعوا في أخطاء كثيرة.[4] ومن هنا نجد أنفسنا أمام سؤال كبير هو: أين تكمن عبقريّة ابن خلدون؟ إنّ إبداع "ابن خلدون" يكمن في كونه قد جعل من ذاته محورًا للعالم والمعرفة، فأعاد كتابه الفكر والتّاريخ من وجهة نظر خاصّة،

ومن تجربة خاصّة، إنّه لم يكن في يوم من الأيام مشروع مؤرّخ، فهو من هنا يكتب التّاريخ من وجهة نظر هاوٍ –على حدّ تعبير" إدوارد سعيد"- ممّا جعله يتحرّر من ذهنيّة القطيع التي وقع فيها الكثير من المؤرّخين المحترفين الّذين شغلهم الحفاظ على تقاليد الكتابة التّاريخيّة عن إبداع هذه الكتابة، إنّ تتبّعهم للعناصر الصّغيرة والجزئيّة، والعمل على حشدها يجعل هؤلاء المؤرّخين لا يملكون الرّؤية الكاملة الشّاملة التي ترى التّاريخ في حركيته العامّة، وهذا ما لم يقع فيه "ابن خلدون"، حيث أنّه حين أخذ في التّفكير في التّاريخ كان في عزلة شاملة، بعيدًا عن كلّ المراجع والدّراسات ممّا جعله يدخل في خُلوة وانفصال عن العالم الخارجيّ، وشرع في رحلة داخليّة استجمع فيها ذاته وتجربته، وإعادة صياغة كلّ هذه العناصر في عمل مبتكر هو أقرب إلى التّجربة الصّوفيّة الإشراقيّة التي تتجاوز العقل والجسد، وتطلّ من الأعلى على آفاق بعيدة.[5] إنّ كتاب (العِبر) جاء بعد لحظة انكسار مرّ بها "ابن خلدون"، هذا الانكسار الذي جعله يرى العالم من حوله ينهار، ويرى الفشل يعمّ الجميع، فلم يجد إلّا هذا الهروب والاختلاء في لحظة صوفيّة هي إظهار لأقصى درجات الضّعف البشري، هذا الضعف الذي كان دافعًا للبحث عن القوّة من خلال إعادة بناء الذّات والعالم والمزج بينهما. وهكذا تمكّن "ابن خلدون" من مزج الذّات والموضوع، وهنا تكمن نقيصته الكبرى نرى هذه الذّات تنفلت من عُقالها لتغطي على كلّ الجهود السّابقة له، لتظهر الذّات وهي متألّقة في محاولة لتعويض كلّ الانكسارات التي مرّت لها.[6] إنّ كتاب (العِبَر) هو في الأصل سيرة ذاتيّة كبيرة، لتشمل العالم بكامله، كُتِبت بلغات ثلاث هي: لغة المفكّر في الكتاب الأوّل، ولغة المؤرّخ في الكتابين الثّاني والثّالث، ولغة الأديب في الجزء الخاصّ بالتّعريف بـ"ابن خلدون" ورحلته شرقًا وغربًا، فجاءت طرازًا فريدًا من نوعه، لكن مع كلّ هذا البريق تبقى هشاشتها –لمن يُحسن النّظر- بارزة في هشاشة الكائن الفرد والعالم في عصر مؤلّفه، عصر أفول الحضارة الإسلاميّة، إن كتاب العِبَر مرثيّة ابن خلدون لذاته ولأمته، ولحظة لجوء إلى رحاب الله لطلب العون بعد أن اكتشفت الذّات ضعفها الرّهيب وهشاشة وجودها، إنّنا هنا أمام شعار عامّ لعصر ابن خلدون هو الشّعار الذي حملته مملكة غرناطة "لا غالب إلّا الله".[7] لقد عاش" ابن خلدون" فلسفته وفلسف حياته.[8] فكان صوتًا متفرّدًا ليس في نغمته، ولكن في طريقة أداء هذه النّغمة.

2.2. إنّ التّحليل السّابق ينظر إلى الرّؤية الخلدونيّة/النّص الخلدونيّ على أنّها كائن متحرّك وليس جامدًا، إذا أنّ هناك محاورة كبرى بين عناصر الرّؤية/النّص يمكننا تمثيلها في الشّكل الآتي:

إنّ العصر في تفاعله مع الذّات يطرحان السّؤال، والذّات لا تجد الجواب إلّا من خلال تأمّل الحوادث التّاريخيّة، هذا التّأمّل الذي من خلال علم التّاريخ، الذي يقوم أساسًا على معرفة العمران البشريّ.

3.2. فإذا أردنا النّظر في منهجيّة "ابن خلدون" في بناء رؤيته/نصّه في خطوطها العامّة، وجدناه تبنّى هذه الرّؤية/النّص على عناصر أساسيّة، يأتي على رأسها إيمانه القوي بأنّ هذا العالم الذي نعيش فيه بكلّ عناصره ليس تكديسًا أو فوضى، بل هو نظام محكم ومتماسك يخضع لعلاقات دقيقة.[9] وإنّنا في تعاملنا معه نحتاج إلى الجمع بين التّنظير والتّطبيق، وهما عنصران يكمّل أحدهما الآخر، ويعمل على توضيحه وتعميقه.[10] ومن أجل ذلك اعتمد "ابن خلدون" منهجًا تجريبيًّا قائمًا «على تفحّص الوقائع والأحداث بوصفها تجارب من صنع الزّمان والمكان، وتمرّ بالإنسان فتكون له إزاءها ردود أفعال في شكل أحداث إذا ما تكرّرت متضمناتها، إن لم يكن أشكالها أيضا، أمكن استقراء قواعد اجتماعيّة عامّة تنطبق على المعاشرة البشريّة سواء في الجماعة البدويّة في مختلف أنماطها، أو في المجتمع الحضريّ في شتّى صوّره»[11]. وهذا ما جعل "ابن خلدون" يهتم في

دراسته بحركية التّاريخ كما وقع، ولم يعمل على وضع كتاب في السّياسة المدنيّة، أو ما يُعرف بالآداب السّلطانيّة؛ ذلك أنّ هذا النّوع من الكتب هي مجرّد قواعد مثاليّة تكون في شكل نصائح وحكم مكدّسة لا تهتمّ بما وقع في العيان، إنّما هي تحاول أن تبني عالَمًا مثاليًّا منشودًا أكثر منه عالَمًا واقعيًّا معيشًا.[12] فلم «يكن موضوع تأمّل "ابن خلدون" محرّكات العمل السّياسي وآليته وحسب، وإنّما كان محرّكات الدّول ومصيرها ككلّ أي أنّ موضوع تأمّله كان حركة التّاريخ...كان الوعي بالذّات فاقدًا القدرة على مواجهة المستقبل والتّخطيط له، كما كان لا يتطلّع إلى المثال ولذا انكفأ على الماضي، وتحوّل إلى وعي بالتّاريخ»[13] كما أنّ "ابن خلدون" عمل على«انتزاع التّاريخ من مجال العلوم الدّينيّة وإرجاع التّاريخ إلى قوانين التّاريخ وباختصار إلغاء الانفصام بين التّاريخ والخطاب التّاريخي».[14]

4.2. وقد قام هذا المنهج على خلفيّة فلسفيّة مكوّنة من مجموعة من المبادئ العامّة، ويأتي على رأس هذه المبادئ العامّة العقل، الذي يعطيه "ابن خلدون" المكانة المرموقة داخل البناء العامّ لنظريته حيث أنّ هذا العقل يملك القدرة «على تمثيل الحقيقة».[15] والعمل على استيعاب الكون وفهمه والكشف عن كلّ أسراره.[16] وهذا العقل يتميّز بقدرته الكبيرة على التّطوّر والتّوسّع؛ ذلك أنّه «في تفتّح مستمرّ ولكن لا يبلغ أوج نشاطه إلّا في المجتمع المتحضّر وذلك لتوفّر الوسائل الضّروريّة وانفتاح المجال للعمل والتّمرين عليه فتزداد قدرة العقل على العمل وعلى الإنتاج والابتكار، وكذلك فكلّما كثُرت العلوم والصّنائع ازداد الفرد البشريّ معرفة وعلمًا».[17] لكن مع ذلك كلّه فإنّ للعقل حدود لا يستطيع تجاوزها، وهذا الأمر ينسجم مع الطّبيعة البشريّة العامّة، والتي أساسها النقص، وليس الكمال؛ ولذا فإنّ العقل على أهمّيته وقدراته «يظلّ ليس هو الأساس الوحيد لكلّ اعتقاداتنا وتصرّفاتنا، إنّ حواسّنا وقدرات أخرى تكمن فينا تنزع هي أيضا إلى قيادتنا، فالبصيرة والحدس هما أيضا ينيران السّبيل بقدر ما ينيره العقل، ثمّ إنّ العقل لم يمنحه الله الإنسان في دفعة واحدة، كأي عضو، ولا يوجد دائمًا في مستوى قارّ، رغم امتداده وعظمة قيمته العلميّة، إنّه يتغيّر نموًّا وتقهقرًا، ويظلّ نموّه غير كامل».[18] وهذا الأمر ينتج عنه أنّ كلّ المعارف الإنسانيّة تصير معارف نسبيّة، وأنّ عمل الإنسان يخضع لرؤيته إلى ذاته وإلى الكون.[19] وأمّا قصور الإنسان الطّبيعيّ فإنّ "ابن خلدون" يرى في الوجود الإلهي عنصر دعم لهذا الإنسان، حيث أنّ الإنسان يستمدّ من هذا البُعد الإلهي قوّته لمواجهة العالم، واستكمال نقصه.[20] إنّ "ابن خلدون" على الرغم من

إعطائه الأهمّية الكبرى للعقل، يرفض الأفكار التي لا يكون لها امتداد تطبيقي في الواقع؛ لأنّها في نظره ستعيق الإنسان على إدراك الواقع من خلال ما تلقيه على بصر الإنسان وبصيرته من حُجُب تمنع عنه الرّؤية الصّحيحة.[21] كم أنّ "ابن خلدون" يرفض التّأمّل المُجرّد الخالص المنقطع عن الواقع؛ لكون الإنسان عاجز عن الانفصال عن عالمه وعن الأشياء التي يحي وسطها، ويدخل معها في علاقات تفاعلية في كلّ لحظة من حياته، ومن ثمّة فإنّ لهذه الأشياء الواقعية وقعها وتأثيرها في الإنسان هذا التّأثير الذي يجب الاعتراف به، وعدم إنكاره، وبخاصّة أنّ هذا التّأثير ينعكس على حدود العقل الذي يصبح من هنا نسبيّ ومضبوط بحدود الواقع الذي يتفاعل معه.[22] وهذا يؤدّي بابن خلدون إلى اعتبار الْكلّيات التي تطول أو تتجرّد من الأشياء الواقعيّة وترتفع عنها نحو عالَم المُثُل المجرّدة في آخر المطاف ليست إلّا مجرّد منتوجات يكوّنها ذهن الإنسان، وأنّها لا توجد وجودًا حقيقيًّا خارج هذا الذّهن الذي يولّدها ويُعطيها وجودها المجرّد.[23] كما يؤمن أنّ ابن خلدون بوحدة المادّة التي يتكوّن منها الكون، إنّها نفسها في أبسط الكائنات وفي أكثرها تعقيدًا.[24] وأنّ هذه المادّة التي تشكّل عناصر الكون توجد في تراتيبية عامّة، تنتظم كلّ العناصر الكونيّة داخل نظام محكم.[25] هذا النّظام الذي يخضع لقوانين عامّة، تحكم الطّبيعة والمجتمع وفق نظرة موضوعيّة.[26] تسير وفق مبدإ الحتميّة الذي تخضع له الطّبيعة والمجتمع، هذا الأخير الذي هو نتاج الحتميّة التّاريخيّة.[27]

5.2. وداخل هذه الرّؤية العامّة يتموضع مفهوم العمران البشريّ، الذي ستتجلّى ملامحه العامّة من خلال تحليل نصّين لـ"ابن خلدون":

النّص الأوّل: «لمّا كان الإنسان متميّزًا عن سائر الحيوانات بخواصّ اختصّ بها، فمنها العلوم والصّنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميّز به عن الحيوانات ومشرف بوصف عن المخلوقات، ومنها الحاجة إلى الحكم الوازع والسّلطان القاهر، إذ لا يمكن وجوده دون ذلك، من بين الحيوانات كلّها إلّا ما يقال عن النّحل والجراد، وهذه وإن كان لها مثل ذلك فبطريق إلهامي لا بفكر وروية، ومنها السّعي في المعاش والاعتماد في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار إلى الغذاء في حياته وبقائه، وهداه إلى التماسه وطلبه، قال تعالى:﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلقهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ومنها العمران وهو التّساكن والتّنازل في مصر أو حلّة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات، لِمَا في جماعهم من التّعاون على المعاش كما سنبيّنه، ومن هذا العمران ما يكون بدويًّا، وهو الذي يكون في الضّواحي

ومنه ما يكون حضريًّا، وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها التّحصّن بجدرانها، وله في كلّ هذه الأحوال أمور تعرض من حيث الاجتماع عروضًا ذاتيًّا له».[28]

النّصّ الثّاني:« اعلم أنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنّما هو باختلاف نحلتهم في المعاش؛ فإنّ اجتماعهم إنّما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بها هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجيّ والكماليّ منهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزّراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنّحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضّرورة، ولا بدّ إلى البدو لأنّه مُتَّسع لما لا يتّسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرًا ضروريًّا لهم؛ وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكنّ والدّفاءة إمّا هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عمّا وراء ذلك، ثمّ إذا اتّسعت أحوال هؤلاء المنتجين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرّفه ودعاهم ذلك إلى السّكون والدّعة، وتفانوا في الزّائد على الضّرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتّأنّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتّحضر، ثمّ تزيد أحوال الرّفه والدّعة فتجيء عوائد التّرف البالغة مبالغها في التّأنق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة وأنواعها من الحرير والانتهاء في المصانع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غاياتها فيتخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه ويُغالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون، وهؤلاء هم الحضر، ومنهم من ينتحل التّجارة، وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو؛ لأنّ أحوالهم زائدة على الضّروريّ ومعاشهم على نسبته وحدهم، فقد تبيّن أنّ أجيال البدو والحضر طبيعيّة لا بدّ منهما كما قلناه».[29]

إنّ هذين النّصين يعكسان إلى حدٍّ كبيرٍ صورة العمران كما عالجها "ابن خلدون" في الكتاب الأوّل من تاريخيه، وهذه الصّورة يمكننا إدراجها في مجموعة من الملامح العامّة، ويأتي على رأس هذه الملامح اعتبار المجتمع الإنسانيّ ظاهرة طبيعيّة.[30] وهذا ما يجعلها قابلة للبحث والدّراسة ويعطيها بُعدًا موضوعيًّا.[31] هذا البُعد الموضوعيّ يُساعد على فهم العمران البشريّ، والكشف عن الجوانب العديدة التي تشكِّل وجوده وتحيط به. والعمران البشريّ يعمّ كلّ المجتمعات ولا يختصّ دون البعض الآخر.[32] وهو في نظر "ابن خلدون" يحوي عناصر كثيرة «من الصّوتيّات ليصل إلى أوسع ما يمكن أن يؤلّفه الإنسان في

التّراكيب الفكريّة والقوليّة والفعليّة في حياته الاجتماعيّة ولهذا نجده يؤكّد أنّ علم الاجتماع يحتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوعة».[33] ولعلّ أبرز ما لاحظه ابن خلدون عن العمران البشريّ هو خضوعه لظاهرة التّطوّر، هذه الظّاهرة التي تُحيط بالكون كلّه ولا تستثني أي عنصر من عناصر.[34] وهذا التّطوّر لا يقع في الكون أو المجتمع عشوائيًّا. وإنّما هو يخضع في وقوعه وتغيّره لقوانين عامّة وشاملة ومستمرّة لا يمكن الفِكاك منها.[35] وهذا التّطوّر في مستواه العمرانيّ يصيب كلّ المجتمعات البشريّة.[36] وهو في نظر ابن خلدون ينقسم إلى نوعين: عمران بدويّ وعمران حضريّ، والعمران البدويّ أسبق وفي هذا يقول ابن خلدون:« قد ذكرنا إنّ البدو هم المقتصرين على الضّروريّ في أحوالهم العاجزين عمّا فوقه، وأنّ الحضر المعتلون بحاجات التّرف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولا شكّ أنّ الضّروريّ أقدم من الحاجيّ والكماليّ وسابق عليه، لأنّ الضّروري أصل والكماليّ فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لأنّ مطالب الإنسان للضّروريّ، ولا ينتهي إلى الكمال والتّرف إلّا إذا كان الضّروريّ حاصلًا، فخشونة البداوة قبل رقّة الحضارة، ولهذا نجد التّمدّن غاية للبدويّ يجري إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها،...والحضريّ لا يتشوّق إلى أحوال البادية إلّا لضرورة تدعوه إليها، أو لتقصير عن أحوال أهل مدينته».[37] وهما يتكوّنان من عناصر عديدة اجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة.[38] وهذه العناصر تمتاز بصفتين هما: التّداخل أي أنّ العناصر السّابقة لا توجد منفصلة داخل المجتمع، بل هي متفاعلة فيما بينهما.[39] ثمّ إنّ هذه العناصر لا تتواجد كلّها دفعة واحدة، بل هي تظهر في المجتمع على قدر الحاجة إليها «إنّ متطلّبات التّجمّع البشريّ تقضي بزوغ ظواهر جديدة فالظّاهرة الاقتصاديّة بدأت مع الإنسان الأوّل وكذلك الصّنائع أو الأعمال وأنّ التّطوّر المجتمعيّ تشعّب بما للكلمة من معنى، الأمر الذي يؤدّي إلى ظهور ظواهر جديدة كالسّياسة وغيرها من الظّواهر التي هي نتيجة منطقيّة لذلك التّطوّر، وهكذا ينشأ التّعليم في المجتمع كنتيجة حتميّة لرغبة العقل الإنسانيّ والمعرفة والانكباب في البحث لإيجاد الوسائل الموصلة إلى الحصول على تلك المعرفة وإتقانها».[40] ولا يفوتنا هو التّذكير بأهمّية العامل السّياسيّ.[41] ممثّلًا في عنصرين أساسيّين هما: العصبيّة والدّولة، فأمّا العصبيّة فهي المحرّك الرئيس للمجتمع في انتقاله من البداوة إلى الحضارة.[42] وأمّا الدّولة فهي التي تنظّم العمران الحضريّ وتحدّد نموذجه ذلك «إنّ مقوّمات العمران وتوجهاته تهيأ بصورة مباشرة باتجاه ناتجه النّهائي، أي الدّولة».[43] لكن هذا العامل السّياسيّ لا يُنقِص من أهمّية وجود عامل مهم آخر ينتشر ضمن العناصر العمرانيّة كلّها ويدخل في تشكيلها

ألَا وهو العامل الفكريّ، حيث «أنّ الأساس الذي تقوم عليه الظّاهرة الثّقافيّة هو بحسب ابن خلدون وظيفة الفكر في الحياة الاجتماعيّة وبصورة خاصّة الرّوية والتّوقع...ولكن النّشاط الاقتصاديّ والنّشاط السّياسيّ لا يقومان بدون الفكر ونشاطه الذي يحوّل الحاجات وتلبياتها إلى سلوك قانوني منظّم وتصرّف هادف معقول، فالظّاهرات الثّقافيّة جزء من الكلّ الاجتماعيّ، وهي مؤثّرة فيه تأثيرًا خاصًّا يختلف باختلاف نوع العمران وطوره».[44]

ولا نختم تحليلنا لمفهوم العمران عند ابن خلدون دون التّعريج على نص خلدونيّ يعكس الرّؤية الخلدونيّة ويكشف عن أبعادها المستترة، يقول "ابن خلدون": «أعلم أنّ العالم العنصريّ بما فيه كائن فاسد، لا من ذواته ولا من أحواله، فالمكوّنات من المعدن والنّبات وجميع الحيوانات الإنسان وغيره كائنة فاسدة بالمعاينة وكذلك ما يعرض لها من الأحوال، وخصوصًا الإنسانيّة، فالعلوم تنشأ ثمّ تدرس، وكذا الصّنائع وأمثالها، والحسب من العوارض التي تعرض للآدميين، فهو كائن فاسد لا محالة، وليس يوجد من أهل الخليقة شرف متّصل...».[45] إنّ هذا النّص يُعبِّر عن نفسه بنفسه، إنّه يعكس الحسّ المأساوي الذي كان يختلج في نفس ابن خلدون الذي نظر من حوله فإذا كلّ شيء ينهار، وإذا كلّ شيء إلى زوال، إنّ ابن خلدون في نصّه هذا يواجه العدم، إنّه يقدّم أغنية البجعة الأخيرة، قبل الدّخول إلى مملكة الموت المنتصر.

3. سنعمل في هذا الجزء من البحث على تتبّع ظاهرتي اللّغة والعلم في العمران الخلدونيّ، تتبّعًا يُظهر أهمّ ملامحه الكبرى، ثمّ نختم هذا الجزء بالبحث في العلاقات القائمة بين اللّغة والعلم، وقد بدأنا باللّغة لأنّها أقدم ظهورًا عند الإنسان، كما تتواجد في كلّ مراحل التّطوّر العمرانيّ.

1.3. يُعرِّف ابن خلدون اللّغة بقوله: «أعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده وتلك العبارة فصل لسانيّ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللّسان وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم».[46]

إنّ هذا التّعريف يُظهِر لنا عدّة جوانب من اللّغة تعدُّ أساسيّة في الكشف عن حقيقتها، وحقيقة مكانتها في الوجود الإنسانيّ، إنّ هذا التّعريف يرتبط بالرّؤية الخلدونيّة العامّة، وبالظّاهرة العمرانيّة في إطارها العامّ، وهذا الجانب الأخير هو الذي سنركّز عليه في بحثنا.

1.1.3. ولعلّ أوّل رابطة تجمع اللّغة بالعمران هي: أنّ اللّغة تعدّ الأساس الأوّل الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعيّة التي هي أساس العمران البشريّ في كلّ أطواره، وفي كلّ مظاهره؛ أيّ أنّ اللّغة هي وسيلة الاتصال بكلّ ما يحمله الاتصال من أبعاد ودلالات، وما يحتويه من ظواهر ومجالات.[47] بل إنّ اللّغة لتساعدنا على فهم البناء الاجتماعيّ فهما قد يعدّا طريقا بحسب ما ذهب إليه الباحث محمّد الصّغير بناني الذي يرى أنّ العلاقات التي تجمع في عمود البيان بين المفردات اللّغويّة ترجع إلى مبدأ الاشتقاق فيما يخصّ أفراد الأسرة وإلى مبدأ المجاز والتّشبيه فيما يخصّ الموالي.[48]

2.1.3. وإلى جانب هذا فإنّ اللّغة ترتبط بالعمران في تطوّره، فتنتقل عبر مراحل العمران وتتشعّب مع تشعّبه، فمن طور البداوة وغيرها في طور الحضارة، فاللّغة من هنا خاضعة للزّمن وتحوّلاته، والعمران وتطوّراته.[49] وهذا التّحوّل في اللّغة لا يكون تحوّلًا عشوائيًّا فوضويًّا، بل هو تحوّل يخضع لقواعد وقوانين عامّة يمكننا تلخيصها في «مبدأين أساسيين هما: المخالطة والغلبة، فأمّا المخالطة –التي هي احتكاك المحاورة- فتمثّل الثّقل الاجتماعيّ في القضيّة اللّغويّة، وهي بذلك نموذج للضّغط العمرانيّ بالمعنى الخلدونيّ...وأمّا الغلبة فهي المحرّك الحضاريّ والسّياسيّ في تطوّر اللّغة إذ تُمثّل قانون التّداخل اللّغويّ طِبقًا لميزان القوى في الصّراع السّياسيّ بين المجموعات المتغايرة».[50] ومظاهر التّطوّر التي تصيب اللّغة لا تقتصر على جانب واحد منها، ولا على مظهر واحد أيضا، فهي تنتقل من لغة البداوة (الفصحى) إلى لهجات الأمصار، هذه الأخيرة التي ينظر إليها ابن خلدون على قِدَم المساواة مع اللّغة العربيّة الفصحى، حيث أنّ لها بلاغتها وإبداعها الذي قد لا يُدركه من لم يدرك أسرار هذه اللّهجات، ولم يكتسب ملكتها.[51] كما يخبرنا ابن خلدون عن تحوّل آخر يصيب اللّغة فيقول:«ثمّ صارت علوم اللّسان صناعته من الكلام في موضوعات اللّغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التّراكيب فوضعت الدّواوين في ذلك، بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب فنوسي ذلك وصارت تتلقّى من كتب أهل اللّسان فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن، لأنّه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم».[52] ولعلّ هذا التّحوّل هو الأكثر دلالة على ارتباط اللّغة بالعمران حيث تكون اللّغة الفصحى البدويّة – وهي الأصل- لغة فطرة يكتسبها الأفراد من خلال تواجدهم داخل الجماعة، بينما حين ينتقل اللّسان إلى طور الحضارة يحتاج لمعرفة اللّغة الفصحى (الأصل) إلى تعلّمها وتدارسها في الكتب، يقول ابن خلدون:« أعلم أنّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصّناعة، إذْ هي ملكات في اللّسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس

ذلك بالنّظر إلى المفردات، وإنّما هو بالنّظر إلى التّراكيب، فكهذا تحصلت الملكة العامّة في تركيب الألفاظ المفردة، للتّعبير بها عن المعاني المقصورة ومراعاة التّأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلّم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسّامع، وهذا هو معنى البلاغة، ثمّ تتكرّر فتكون حالًا، ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة، ثمّ يزيد التّكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة».[53]

3.1.3. وعلى الرغم من كلّ ما تقدّمه اللّغة وتُسهم به في بناء العمران البشريّ، وما تقدّمه من قدرات للتّواصل واحتواء العالم، إلّا أنّها تظلّ مع ذلك قاصرة على استيعاب كلّ التّجارب التي يعيشها الإنسان، وفي هذا يقول ابن خلدون:«وقد قال بعض المحقّقين خَلَق الله الزّمان، هذه ألفاظ تناقض أصولها، لأنّ خلْق الزّمان متقدّم على الزّمان، وهو فعل لا بدّ من وقوعه في الزّمان، وإنّما حمل ذلك ضيق العبارة عن الحقائق وعجز اللّغات عن تأدية الحقّ فيها وبها».[54]

4.1.3. وقد تجاوز حديث ابن خلدون عن اللّغة في ذاتها إلى الكلام عن علوم اللّسان كلّها، حيث عمل على تصنيفها إلى أربعة علوم هي: علم اللّغة وعلم النّحو وعلم البيان. وجعل علم الأدب في القمّة منها، حيث يُعرّفه بقوله:«هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنّما المقصود منه عند أهل اللّسان ثمرته، وهي الإجادة في فنَّي المنظوم والمنثور...».[55] وهذه العلوم اللّسانسّة كلّها تتواجد ضمن علاقات تفاعليّة تجمع بينها اللّغة في إطارها العامّ، وتفرّق بينها الزّوايا التي تتناولها من هذه اللّغة، فهي من هنا على حدّ تعبير عبد السّلام المسدّي «هكذا يتكامل هيكل المعارف عند ابن خلدون على بنية رباعيّة تندرج في تفاعل عضويّ مبتدؤها علم اللّغة ويتناول المادّة اللّفظيّة التي هي كالطّاقة المعدنيّة في إنجاز الظّاهرة اللّغويّة، وثانيهما علم النّحو وموضوعه تركيب الكلام الذي يثمر الطّاقة التّعبيريّة، وثالثهما علم البيان ومداره أحوال التّخاطب ممّا يولّد الطّاقة التّواصليّة، وآخرها علم الأدب وبه تفتخر الطّاقة الإبداعيّة».[56]

1.4. إنّ أوّل ما ننطلق منه لدراسة مكانة العلم في الرّؤية الخلدونيّة هو ربط ابن خلدون بين العلم وتطوّر العمران حيث يقول: «العلوم إنّما تكثُر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة والسّبب في ذلك أنّ تعليم العلم كما قدّمناه من جملة الصّنائع، وقد كنّا قدّمنا أنّ الصّنائع إنّما تكثر في الأمصار وعلى نسبة الصّنائع في الكثرة والقلّة والحضارة والتّرف، تكون نسبة الصّنائع في الجودة والكثرة، لأنّه أمر زائد على المعاش، في فضلة أعمال أهل

العمران عن معاشهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التّصرّف في خاصيّة الإنسان، وهي العلوم والصّنائع، ومن تشوّق بقطراته إلى العلم ممّا نشأ في القرى والأمصار غير المتمدّنة؛ فلا يجد فيها التّعليم الذي هو صناعيّ، لفقدان الصّنائع في أهل البدو كما قدّمناه، ولا بدّ له من الرّحلة في طلبه إلى الأمصار المستبعدة شأن الصّنائع في أهل البدو».[57]

إنّ الفكرة التي أوردها ابن خلدون في نصّه تتجسّد في كلّ أجزاء المقدّمة، بل إنّ بناء المقدّمة نفسه يعكس هذه الفكرة، حيث أنّ ابن خلدون أخّر الحديث عن العلوم إلى آخر المقدّمة بعد أن تكلّم عن العمران ومكوناته، وتطوّراته، ليثبت بذلك أنّ العلم هو الثّمرة العُليا لكلّ هذه الحركة العمرانيّة في أطوارها الزّمانيّة والمكانيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، ذلك أنّ العلم هو ابن بيئته في كلّ مظاهرها، وبخاصّة مظهرها الحضاريّ.[58]

وهذه الحقيقة تدفعنا إلى التّذكير بملاحظتين حول علاقة العلم بتطوّر العمران في الرّؤية الخلدونيّة، فأُولَى هاتين الملاحظتين هو أنّ العلم لا يظهر دفعة واحدة، بل هو مركوز في الفطرة البشريّة، متواجد منذ بداية الخليقة الإنسانيّة، موافق للإنسان عبر تطوُّره التّاريخيّ لكن هذا العلم لا تقوم له قواعد ومؤسّسات، ولا يصبح صناعة إلى يبلغ العمران البشريّ مبلغه من التّقدُّم والتطوّر.[59] أمّا الملاحظة الثّانية فتكمن في أنّ ابن خلدون يستثني من قاعدته التي تربطُ تطوّرَ العلم بتطوّرِ العمران المرحلة الأولى من تاريخ الإسلام؛ والتي بعدها مرحلة المثال «وهذا ما يناقض تمامًا نظريته القائلة بأنّ وجود العلم ونموّه مشروطان بالحياة الحضريّة من جهة، ومن جهة ثانية بتراكم المعرفة وتناقلها عبر الكتب والمدارس والعلماء الذين يُكوّنون طبقة مستقلّة تُمارس النّشاط العلميّ كوسيلة في المعاش بَيْد أنّ ابن خلدون يسلّم بأنّ فترة البداوة الإسلاميّة الأولى هي فترة العلم الخالص الصّادر عن وحي إلهي إلى نفوس أقرب إلى الفطرة بفضل البداوة».[60]

2.4. والعنصر الثّاني في الرّؤية الخلدونيّة للعلم هي تصنيفه للعلوم حيث يقول:«أعلم أنّ العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها بالأمصار تحصيلًا وتعليمًا، هي على صنفين: صنف طبيعيّ للإنسان يهتدي إليها بفكره، وصنف نقليّ يأخذ عمّن وصفه، والأوّل في العلوم الحتمية الفلسفيّة، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشريّة إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها، حتّى يقفه نظره وبحثه على الصّواب، وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشّرعيّ، ولا مجال فيها للعقل إلّا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأنّ الجزئيات الحادثة

المتعاقبة...وأصل كلّ هذه العلوم النّقليّة كلّها هي الشّرعيات، من الكتاب والسّنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلّق بذلك من العلوم التي تهيّؤها للإفادة...وأصناف هذه العلوم النّقليّة كثيرة...».[61] إنّ هذا النّص يعكس في دقّة تصوّر ابن خلدون للعلوم، وتصنيفها، وخصائصها العامّة والخاصّة، وما يميّز بعضها عن بعض، ومصدر كلّ نوع فيها ومقصده، ولقد اختلف الدّارسون لفكر ابن خلدون في تأويلهم لنوعي العلوم التي تكلّم عنهما ابن خلدون، وذلك لاختلاف زاوية النّظر، فمن نظر إليهما من حيث المصدر قسّمهما إلى علوم تتميّز بالطّابع الدّينيّ، وعلوم تتميّز بالطّابع العقليّ.[62]

ومن نظر إلى هذه العلوم من حيث الغاية والتّداول وجد أنّ هناك علومًا مقصودة لذاتها؛ وهي العلوم الّرعيّة النّقليّة، لأنّها غاية المسلم، أمّا العلوم الأخرى فهي غير مقصودة لذاتها؛ بل هي أدوات في يد الباحث تساعده على تحصيل العلوم الأولى، وفهمها وربط أصولها بفروعها، ولذا كان الحثّ على الإكثار من العلوم الأولى، والتّقليل من العلوم الثّانية.[63] كما أنّ العلوم النّقلية نفسها تنقسم إلى نوعين كبيرين:

«1- علوم يمكن جمعها تحت اسم علوم الشّريعة، وهي نقلية لاجتماع كلّ خصائص النقلي فيها.

2- وعلوم يمكن جمعها تحت اسم علوم اللّسان، وهي نقلية لكونها خاصّة فقط، وليست نقلية بمعنى صدورها عن الوحي».[64] وهذا التّصنيف الذي قدّمه ابن خلدون للعلوم ينطبق على كلّ الحضارات ولا يختصّ بالمنظومة العلميّة للحضارة الإسلاميّة، وإذا كانت هذه الحقيقة لا تثير الجدل والحيرة حين الكلام عن العلوم الوضعية الطّبيعيّة، على اعتبار أنّها تصدر عن اجتهاد الإنسان العقلي الذي هو عنصر مشترك بين البشر كلّهم، إلّا أنّ إدخال العلوم النقليّة ضمن المشترك الإنسانيّ العامّ يحتاج إلى توضيح؛ إنّ العلوم النّقليّة عند المسلمين ترتبط بالنّص القرآنيّ والسّنّة النّبويّة، وهما نصّان يخصّان المسلمين دون غيرهم من البشر، لأنّ وجود هذين النّصين لا يأخذ بُعده الحقيقيّ، ووجوده التّام من خلال عملية الإيمان بهما، وبكونهما أصل التّشريع وهذا أمر لا يتوفّر إلّا داخل الجماعة المسلمة، أمّا خراجها فإنّ هذين النّصين لا يكتسبان أي بُعْد مقدّس، لكن ما قد نغفل عنه هو أنّ كلّ جماعة بشريّة نصوصها المقدّسة بغضّ النّظر عن مصدر هذه النّصوص، وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين معلقًا على العلوم النّقليّة «إنّ وضعية هذه العلوم تكمن في نهجها الأساسي الذي يقوم على استخدام نصّ مقدّس باعتباره مرجعًا للحقيقة ومقياسًا للأوضاع التي تتبعه وتأتي إثره».[65]

3.4. ويرتبط العلم عند ابن خلدون بعملية التّعلّم، ذلك أنّ العلم ملكة مكتسبة لا تولد مع الإنسان، إنّما يولد مزودًا بالاستعداد لاكتسابها، ثمّ يعمل المجتمع على توفير المؤسّسات الخاصّة لتحصيل هذا العلم، فالعلم هو ثمرة التّطوّر العمرانيّ.[66] وهو «ملكة ينطبق عليها قانون تكوين الملكة في الصّنائع، إلّا أنّها أكثر دقّة وصعوبة، لأنّ العلم يحتاج إلى إحاطة كاملة بكلّ مبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله وأحكامه واستنباط فروعه من أصوله، وذلك أمر يحتاج إلى جهد خاصّ واستعداد عقليّ متميّز يُمكّن صاحبه من الحذق في العلم والتّفنّن فيه والاستيلاء عليه».[67]

وهذه الملكة تحتاج في بنائها وترسيخها في الفرد إلى عوامل عديدة منها: تعاون القدرات العقليّة مع القدرات الجسميّة.[68] وعلى كون العقل البشريّ في تفتّح مستمرّ وتوسُّع في مداركه وتطوّر الحضارة وازدهار الصّناعات فيها وتطوّر الوسائل المساعدة على النّظر والتّحصيل.[69] إلّا أنّ هناك عوامل أخرى تعمل على إعاقة هذه الملكة وتقويض أركانها منها: الاعتماد على الحفظ دون الفهم.[70] ومنها ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله: «اعلم أنّه أضرّ بالنّاس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التّآليف واختلاف الاصطلاحات في التّعليم وتعدّد طرقها».[71] ولذلك رسم ابن خلدون للعملية التّعليميّة حدودًا وقواعد تعمل على النّهوض بها، والنّهوض بحاملها، وهذه القواعد يمكن ردّها إلى الابتعاد عن المبالغة في تحصيل العلوم الأدوات، وعن النّظر الصّوري المجرّد، وكذا في إخضاع الطّبيعة البشريّة للثّقافة.[72] فحين يلتزم الإنسان بهذه القواعد يكون ذلك عاملًا إيجابيًّا في بناء الملكة العلميّة عنده، والتي بدورها ستعمل على تحوّله النّفسيّ وتوسّع مداركه وقُدراته العقليّة، التي هي وسيلة لبناء الحضارة وتسخير الكون.[73]

(يتبع...)

[1]- ينظر: محمد عزيز الحباي، **ابن خلدون معاصرًا**، ترجمة: د. فاطمة الجامعي الحباي، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1984، ص 13.

[2]- ينظر: إحسان عبّاس، **تاريخ النّقد الأدبي عند العرب: نقد الشّعر من القرن الثاني حتى القرن الثّامن الهجري**، دار الشّروق-عمّان، الإصدار الثّاني من الطبعة الأولى الجديدة المزيدة والمنقحة، 1997، ص.ص 637-638.

[3]- سفيتلانا باتسيفا، **العمران البشري في مقدّمة ابن خلدون**، ترجمة: د. رضوان إبراهيم، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا-تونس، 1978، ص 173.

[4]- ينظر: خالد كبير علام، **أخطاء المؤرّخ ابن خلدون في كتابه المقدّمة**، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط1، 2005.

[5]- ينظر: علي أومليل، **الخطاب التّاريخيّ: دراسة لمنهجيّة ابن خلدون**، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، الدّار البيضاء، ط4، 2005، ص-ص 90-100، وكذلك: ناصيف نصار، **الفكر الو اقعي عند ابن خلدون تفسير تحليليّ وجدليّ لفكر ابن خلدون في بنيته ومعناه**، دار الطّليعة، بيروت، ط2، 1885، ص 49-51. وكذلك مقال: بشار قويدر، **ابن خلدون والمنهجيّة التّاريخيّة**، مجلّة الثّقافة، وزارة الاتصال والثّقافة، الجزائر، السّنة 21، عدد 113، 1996، ص-ص 169-170.

[6]- ينظر: عبد الفني مغربي، **الفكر الاجتماعيّ عند ابن خلدون**، ترجمة: محمّد الشّريف دالي حسين، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986، ص-ص 81-82، وكذلك كتاب: **أخطاء المؤرّخ ابن خلدون في كتابه المقدّمة**، مرجع سابق.

[7]- ينظر: مقال: خوسيه ميغبل يويرطا، **البنية الطوباوية لقصر الحمراء**، مجلة العرب والفكر العالميّ، العددان 19/20-1992، ص 4 وما بعدها. وكذلك كتاب: محمد لطفي اليوسفي، **فتنة المتخيل 1: الكتابة ونداء الأقاصي**، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 2002، ص 71.

[8]- SEE: C.M.GROS **IBN KUELDUN ITINERAIRE d'un LETTRE ARABE**.. L'HISTORE. N0=309-MAI 2006.

[9]- ينظر: **الفكر الاجتماعيّ عند ابن خلدون**-مرجع سابق- ص 93.

[10]- ينظر: المرجع السّابق، ص 97.

[11]- حسن السّاعاتي، **البدو والحضر عند ابن خلدون**، مجلة الثّقافة، وزارة الثّقافة، الجزائر، السّنة 13 عدد 78-نوفمبر-ديسمبر، 1983، ص 28.

[12]- ينظر: عزّ الدين علّام، **الآداب السلطانيّة: دراسة في بنية وثو ابت الخطاب السّياسي**، عالم المعرفة، رقم 324، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 2006.

[13]- **الفكر الو اقعي عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص 53.

[14]- **الخطاب التّاريخي: دراسة لمنهجيّة ابن خلدون**، مرجع سابق، ص 82.

[15]- نور الدين حقيقي، **الخلدونيّة العلوم الاجتماعيّة وأساس السّلطة السّياسية**، ترجمة: إلياس خليل، دويوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، المطبعة الجهويّة، وهران، د.ت، ص 17.

[16]- **التّفكير الاجتماعي عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ص 296، 297.

[17]- د. ابن عمار الصّغير، **التّفكير العلميّ عند ابن خلدون**، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د.ت، ص 113.

[18]- **ابن خلدون معاصرًا**، مرجع سابق، ص 68.

[19]- ينظر مقال: عبد المجيد مزيان، **التّوازن بين الفكر الدّيني والفكر العلميّ عند ابن خلدون**، مجلّة الثّقافة، وزارة الثّقافة، الجزائر، السّنة 13 عدد 77 سبتمبر، أكتوبر 1983، ص 17.

[20]- ينظر: المرجع السّابق، ص 25.

[21]- ينظر: **الفكر الاجتماعيّ عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص 86.

[22]- ينظر: **الفكر الو اقعي عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص، ص 120-121.

[23]- ينظر: **التّفكير الاجتماعي: دراسة تكامليّة للنّظرية الاجتماعيّة**، مرجع سابق، ص 296.

[24]- ينظر: المرجع السّابق، ص، ص 294-295.

[25]- ينظر: المرجع السّابق، ص، ص 322-323.

[26]- ينظر: المرجع السّابق، ص، ص 294-295.

[27]- ينظر: المرجع السّابق، ص، ص 323-324.

[28]- عبد الرّحمٰن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1992، المجلد الأوّل، ص، ص 42-43.

[29]- المرجع السّابق، 129-130.

[30]- ينظر: أستون بوتول، **ابن خلدون فلسفته الاجتماعيّة**، ترجمة: عادل بشر، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1984، ص 47.

[31]- ينظر: **الفكر الاجتماعيّ عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص، ص 129-130.

[32]- ينظر: المرجع السّابق، ص، ص 128-129.

[33]- محمّد الصّغير بناني، **البلاغة والعمران عند ابن خلدون**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1996، ص 30.

[34]- ينظر: **الفكر الاجتماعيّ عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ص 103-104.

[35]- ينظر: المرجع السّابق، ص 100.

[36]- ينظر: المرجع السّابق نفسه.

[37]- المقدّمة: مرجع سابق، ص 131.

[38]- ينظر: **ابن خلدون معاصرً**، مرجع سابق، ص 29.

[39]- ينظر: **الفكر الاجتماعيّ عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ص 230.

[40]- **التفكير العلميّ عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص 111.

[41]- ينظر: **الخلدونيّة العلوم الاجتماعيّة وأساس السّياسة**، مرجع سابق، ص 7.

[42]- ينظر: **ابن خلدون معاصرًا**، مرجع سابق، ص 28.

[43]- عزيز العظمة، **ابن خلدون وتاريخيته**، ترجمة: عبد الكريم ناصف، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط2، 1987، ص 72.

[44]- **الفكر الو اقعي عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ص 230-231.

[45]- **المقدّمة**، مرجع سابق، ص 145.

[46]- **المقدّمة**، مرجع سابق، ص 633.

[47]- ينظر: **البلاغية والعمران عند ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ص 45-46.

[48]- المرجع السّابق، ص 37.

[49]- ينظر المقال: **مع ابن خلدون: الأسس الاختياريّة في نظرية المعرفة من خلال المقدّمة**، مرجع سابق، ص ص 187-188، وكذلك **ابن خلدون وعلوم اللّغة**، مرجع سابق، ص ص 116-117.

[50]- **مع ابن خلدون: الأسس الاختياريّة في نظريّة المعرفة من خلال المقدّمة**، مرجع سابق، ص 188.

[51]- ينظر: عبد الرحمٰن أيوب، **منهجية ابن خلدون في تحليل الشّعر البدويّ الهلاليّ (القسم الأوّل)**، مجلة الفكر، تونس، السنة 29 عدد 07، أفريل 1987، ص ص 92-93.

[52]- **المقدّمة**، مرجع سابق، ص 470.

[53]- المرجع السّابق، ص 643.

[54]- المرجع السّابق، ص 524.

[55]- المرجع السّابق، ص 641.

[56]- **ابن خلدون وعلوم اللّغة**، مرجع سابق، ص 172.

[57]- **المقدّمة**، مرجع سابق، ص 465.

[58]- ينظر:محمّد فاروق النّبهان، **الفكر الخلدوني من خلال المقدّمة**، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1998، ص ص 143-144.

[59]- ينظر: أبو يعرب المرزوقي **شفاء السّائل لتهذيب بعض المسائل: ابن خلدون**، دارسة ، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1991، ص 63 من مقدّمة الدّارس.

[60]- **الخطاب التّاريخيّ، دراسة لمنهجيّة ابن خلدون**، مرجع سابق، ص 29.

[61]- **المقدّمة**، مرجع سابق، ص 466.

[62]- ينظر: **ابن خلدون معاصرًا**، مرجع سابق، ص ص 115-116.

[63]- ينظر: محمود عبد المولى، **ابن خلدون وعلوم المجتمع**: الدار العربيّة للكتاب، تونس، ط3، 1988، ص ص 97-98.

[64]- **شفاء السّائل لتهذيب المسائل**، مرجع سابق ص 59 من مقدّمة الدّارس،

[65]- **ابن خلدون وتاريخيته**، مرجع سابق، ص 155.

[66]- ينظر: **التّفكير العلميّ عند ابن خلدون**، مرجع سابق، 111-112.

[67]- **الفكر الخلدوني من خلال المقدّمة**، مرجع سابق، ص 141.

[68]- ينظر: **التّفكير العلمي عند ابن خلدون**، مرجع سابق، 114، 115.

[69]- ينظر: المرجع السّابق، ص 113.

[70]- ينظر: **الفكر الخلدوني من خلال المقدّمة**، مرجع سابق، ص 146.

[71]- **المقدّمة**، مرجع سابق، ص 613.

[72]- ينظر: **شفاء السّائل لتهذيب المسائل**، مرجع سابق، ص ص 75-76 من مقدّمة الدّارس.

[73]- ينظر: **الفكر الخلدوني من خلال المقدّمة**، مرجع سابق، ص 146-147.

مجلّة انـــتـحـــــــاء

Intihaa Journal

ISSN: 2992-1546المجلد (01) العدد(02)(2024) : رقم صفحة البداية40 – رقم نهاية الصفحة69

اللّسانيات والقانون؛ التكامل المعرفي بين القانون والعلوم اللغوية

Linguistics and Law: Cognitive Integration between Law and Linguistics sciences

د. فتيحة مولاي

moulay.fatiha@ens-ouargla.dz

مخبر الوسائط التعليمية- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة- الجزائر

أ. ياسمين بوداود- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

yassminebd@gmail.com

تاريخ الاستلام:2024/06/30 تاريخ القبول: 2024/11/03 تاريخ النشر:2024/12/07

ملخص:

في ظلّ الدراسات البينية التي ذاعت إثر الانفتاح العلمي الذي يُعززّ مبدأ تكامل العلوم والمعارف، ظهرت اللسانيات القانونية التي تُعدّ تخصّصا بينيا ناشئا يجمع بين علمين هما: علم اللغة وعلم القانون، يهدف هذا البحث إلى تفسير مظاهر التكامل المعرفي بين هذين التخصّصين، وهو تكامل تقتضيه حاجة القانون إلى اللغة بجميع مستوياتها اللّسانية انطلاقا من الصوت إلى الدلالة، كما يتجاوز المستويات اللسانية إلى علوم لغوية أخرى وهي: علم المصطلح، والصناعة المعجمية، والتداولية والسيميولوجيا.

الكلمات المفتاحية: لسانيات، قانون، تكامل معرفي، علم الصوت، علم الصرف، علم النحو...

Abstract
In the context of environmental studies that have emerged following the scientific openness that promotes the integration of sciences and knowledge, forensic linguistics emerges as an interdisciplinary specialty that combines two disciplines: linguistics and law. This research aims to interpret the aspects of correlation and cognitive integration between these two disciplines, which is a correlation necessitated by the law's need for language at all its linguistic levels, this correlation also extends beyond the linguistic levels to other linguistic sciences, namely: terminology, lexicographical and pragmatics, and semiology.
Keywords: linguistics, law, correlation and cognitive integration, linguistic levels, linguistic sciences, forensic linguistics.

1. مقدمة

يقوم الفكر البيني (Interdisciplinary) على مبدأ تكامل العلوم وتقاطعها، وهو مبدأ فرضه قصور الفكر التخصّصي في الإجابة عن كثير من الأسئلة العلمية، وما رسّخ هذا الفكر هو التطور العلمي والتكنولوجي والتسارع الهائل لانفتاحه على شتى الميادين. ولم يكن علم القانون بمعزل عن هذا التكامل، فسرعان ما ظهرت دراسات تجمع بينه وبين مختلف الحقول المعرفية الأخرى، كعلم التاريخ، والسياسة، والاجتماع، واللغة. والبحث الذي بين أيدينا يُعدّ من صميم اللسانيات القانونية، هذا العلم الذي يجمع بين علم اللغة والقانون.

تدرس اللّسانيات القانونية لغة القانون، بحكم أن هذا الأخير يتجسّد في قوالب لغوية، وبالمقابل فإنّ كلّ حديث عن اللّغة يستوجب الحديث عن اللّسانيات، وعن القانون؛ فلا لغةَ تعيش بين الناس دون قانون أو نظامٍ يحكمها، ولا القانون يظهر إلى الوجود دون لغة، ومن هنا تتحقّق مشروعية السؤال عن التكامل اللّساني القانوني وتعالقهما. ترمي إذًا هذه الدراسة البينية إلى وصف وتفسير مظاهر التكامل المعرفي بين اللّسانيات والقانون.

تمحورت إشكاليته حول سؤال عام فحواه: فيمَ تتجسّد مظاهر التكامل المعرفي بين اللسانيات والقانون؟ وكيف؟ وتنضوي تحت لواء هذه الإشكالية أسئلة فرعية ألا وهي:

- ✓ ماهي اللسانيات القانونية؟
- ✓ ما الذي يعلّل شرعية التعالق اللساني القانوني؟ وكيف يحدث التكامل بين العلمين؟ وكيف يحتاج القانون إلى اللسانيات؟

المطلب الأول: مفهوم اللسانيات القانونية:

يُعرّف هذا العلم على أنّه «علم يُعنى بدراسة خصوصيات لغة القانون»[1] وبصيغة أخرى «الدراسة اللسانية للغة القانون؛ من خلال قانون اللغة ذاته»،[2]فهو يجمع بين الدراسة اللسانية للغة القانون وقانون اللغة. ولأنّ القانون مفرغ في نصوص تحكمها اللغة، إذ يأمر باللغة وينهى باللغة وينجز باللغة...بل قُلْ دون تردّد هو «مهنة الكلمات»[3]، كما يصطلح "حافظ إسماعيلي علوي" على ذلك، فهو حتما أحوج العلوم إلى الحديث عن اللغة والعلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية موضوعية، وبالتالي التعالق مع اللسانيات.

وهو في كثير من الأحوال وقاية أو علاج لحالة من حالات «الخطر اللغوي»[4]، فأيّ سبّ، أو شتم، أو تشهير، أو تهديد يُعدُّ خطرا لغويا، وأيّ لَبْس في عقْدٍ نتيجة سوء صياغة أو تفسير للقانون يؤدي إلى إخلال في الحكم، فقد يُدانُ بريء ويُبَرّأَ مجرمٌ، وهذا خطر لغوي. كلُّ هذا يستوجب دراسة لغة القانون والوقوف على حيثياتها، وهو من اختصاص اللسانيات القانونية، فهي مجال لساني تطبيقي بيني، يمكن أن يُسهم في حل الكثير من المشكلات المتعلقة بمجال القانون والجريمة والقضاء.

وتُعدُّ اللسانيات القانونية اتّجاها جديدا في الدرس القانوني عامة، والنص القانوني على وجه الخصوص، إذ يُعدّ القانون -في هذه الحال-: «مدونةً مفرغة في نصوص مكتوبة بلغة ما قابلة للوصف المحايث تُدرس لذاتها ومن أجل ذاتها. لهذا كانت اللغة أجود الأدوات لمقاربة منهجية القانون، ليعتمد القانونيون على الطرح السوسيري لوضع لسانيات للقانون».[5]

يصف "سمير شريف استيتية" التعالق اللساني القانوني ويعلّله بقوله: «ربّما كانت العلوم القانونية ألْصقَ العلوم الإنسانية والاجتماعية كلّها باللسانيات. ويكفي للدلالة على ذلك **أنّ القوانين كلَّها قائمة على ضبط لغة الإنسان وسلوكه**، وأنّها تحاسب **على عدم**

انضباط اللغة والسلوك، إذا تسبّبا في إحداث ضرر للآخرين، **وشروح القوانين وتفسيراتها** هي –في الحقيقة- **أعمال لغوية**، ترمي إلى **ضبط فهم دلالات القوانين** من أجل التقيّد بها».[6]

إذًا يمكننا القول أنّ اللسانيات القانونية هي «الدراسة العلمية والمنهجية للغة القانونية. باعتبارها نظام من الوحدات/المواد القانونية الداخلة في علاقة فيما بينها، القابلة للوصف بالتحليل ثم التركيب...»[7]. ومن ثَمَّ يبحث هذا العلمُ «تطوّرَ اللغة القانونية وخصائصَها واستعمالها...يهتمّ جانب من الدراسات في هذا التخصص بالمفردات ولا سيّما المصطلحية والتركيب أو الدلالة في اللغة»[8]. ونحن نرى أنّ الأمر يتجاوز ذلك إلى تداولية النص القانوني وحجاجيته وسيميائيته وبلاغته كذلك، وإشكاليات الترجمة في النص القانوني.

تُفيد اللسانيات القانونية من خلال البحث في مستوياتها الصرفية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية والتداولية في حُسْن صياغة النصوص القانونية، وكذلك تفسير تلك النصوص وتأويلها. كما تُسهم أيضا في حل القضايا المرتبطة بتحليل اللغة والخطابات القانونية.

المبحث الثاني: مشروعية التعالق اللساني القانوني

المطلب الأول: علاقة اللسانيات بالقانون

عندما نقول اللسانيات القانونية فنحن أمام معادلة معرفية تجمع بين الشق اللساني والشق القانوني، وكما نعلم فإن اللسانيات تهتم بالدراسة العلمية الموضوعية للغة، أما القانون فيُعَدُّ مجموعة من القواعد التشريعية التي تنظم سلوك الأفراد يتجسد من خلال اللغة، لهذا فإننا نتحدث عن التعاطي القائم بين اللغة باعتبارها موضوع اللسانيات من جهة، وكونها بنية القانون من جهة أخرى، فما يحكم اللغة كلَّها يحكم لغة القانون لأنها جزء منها إلا أنّها كغيرها من لغات التخصُّص والحقول المعرفية لغة خاصة لها طبيعتها وخصائصها. ومن ثم فعلم اللغة القانوني ينظر في هذه الخصائص ويحاول فَهْمَ

هذه الطبيعة عبر كل مستويات اللغة، و«مدى وضوح لغة القانون وفهمها لدى عامة الناس وخاصتهم، كما يهتم بقضايا الترجمة في المحاكم والتحريات القانونية، ومدى دقتها، والمشاكل اللغوية الناتجة عن الاختلافات الثقافية للمتّهمين المنتمين لبعض الأقليّات، ومدى تأثير ذلك على التواصل بين المتهم وسلطات المحكمة والقانون، وتأثير ذلك على سير العدالة»[9]. بل نذهب إلى أكثر من ذلك؛ إنّ اللسانيات القانونية تحتكم إلى اللغة وتستعين بها لتنفي تهمة ما أو تثبتها عن متّهم ما.

«إنّ القانون لغة لأن القانون يكتب باللغة ويُحلّل بها ويحتكم به إليها، وتُوصل القوانين والأنظمة والتعليمات عبر اللغة، فاللغة هي الوعاء الحامل للقوانين»[10]، كما تمثل أيضا جسرا للتواصل بين القانون وأفراد المجتمع. والتفكير القانوني يتخذ من اللغة قالبا يصب فيه، فتصبح المفاهيم القانونية هي المحتوى أما اللغة فهي الشكل الذي تتجلى من خلاله.

يعدّ القانون اللغة أداة لصياغة وتوثيق النصوص القانونية، لذا يجب أن تكون لغتها مضبوطة ودقيقة، «فصناعة النص القانوني مرهونة بحسن صياغة تراكيبه وتخير ألفاظ لغته، بل كلما نجح المشرّع في إنتاج نصوص متسقة منسجمة، كان أقدر على أداء مهمته، ولن يتسنى له ذلك إلا إذا كان مُلمًا إلماما حسنا بأمور كثيرة تتصل بالأدب وفي مقدمتها قوة الحجة وسلاسة العبارة، وحُسْن الأسلوب واتساق المنطق، لتكشف عن علاقة عامة بين القانون والأدب، وخاصة بين لغة القانون ولغة الأدب».[11] وكما أدرك علماء الشريعة الإسلامية الصلة الوثيقة بين العلوم الشرعية واللغة، فحرصوا على دراسة اللغة والتمكن من جميع فروعها من نحو و صرف وبلاغة ودلالة... لفهم مقاصد النص القرآني، وجب على القانونيين كذلك السير على خطى علماء الشريعة والاهتمام بدراسة اللغة لفهم مقاصد النص القانوني، فالقوانين مصاغة ومحكمة باللغة وقواعدها.

«ولعلّ مجال القانون صياغة وتطبيقا، هو المجال الذي تتبدّى فيه أساسا، وأكثر من غيره من المجالات، مظاهر الحفاظ على أصول اللغة العربية في استخدامها دوما أداة للتعبير، سواء أكان ذلك خطابا من المشرع أم حكما من القضاء»[12].

«ولما سُنّت القوانين لتنظيم حياة الفرد في مجتمعه، غدت اللغة جزءاً من القانون؛ فدونها لا يوجد قانون. فالقوانين التي هي بمثابة مجموعة من القواعد التشريعية، تصاغ باللغة، وتظل محكومة بها وبضوابطها حتى يصل إلى أفراد المجتمع فيضبط وينظم سلوكهم»[13] . إذن فالأحكام الموجودة في النصوص القانونية يعبر عنها من خلال اللغة، وإن لم تكن اللغة سليمة فإن تلك الأحكام لا تؤدي وظيفتها، إذ أن سلامة النص القانوني مربوط بسلامة لغته ومدى إتقانها. تقول "شيلا هيات" (Sheila Hyatt): «إنّ الكلمات هي الأدوات الأساسية للقانون. ففي دراسة القانون، تبدو اللغة لها أهمية كبيرة. وتتحول القضايا إلى المعنى الذي ينسبه القضاة إلى الكلمات. بمعنى أن القضايا تتحول إلى نصوص وألفاظ؛ وعليه فإن رجل القانون يصور هذه القضية أو تلك في لغته وعباراته»[14]. ومن خلال ما سبق تظهر علاقة اللغة بالقانون جلية.

إنّ علاقة اللغة بالقانون وطيدة، إذ «يحتاج المشرّع إلى اللغة لصياغة القانون، ويحتاج وكيل النيابة إلى اللغة في المرافعة وفي كتابة القرارات، ويحتاج القاضي إلى اللغة أيضا في كتابة الأحكام ...»[15] أي أن رجل القانون مقيّد بقواعد لغته. و«ربما تكون حاجة رجل القانون إلى اللغة المتينة والأدب الرفيع أكبر من حاجة الكاتب والشاعر والأستاذ إليهما؛ لأن رجل القانون إن كان مشرّعا فإنما هو يضع اللفظ والجملة للمعنى ويتوخى منهما أن يكونا مطابقين لغرضه مطابقة تامة لا مجال فيها للمجاز أو الخيال، وإن كان قاضيا فإنما هو مأخوذ أن يدرك للفظة والجملة اللذين وضعهما المشرع المعنى الذي قصد والغرض الذي رمى إليه، وإن كان محاميا فإنما هو ملزم بمعرفة ما وضع المشرع على الوجه الذي ابتغى وقصد، وهو ملزم كذلك بمعرفة ما يدرك القاضي من النص وما يوجهه إليه في مجال التطبيق؛ فهو مسوق أن يكون جامعا لما يجب على المشرع والقاضي معا. ولا يكون المحامي كذلك حتى يكون له من لغته أداة كاملة وعدة قوية. ويزيد المحامي على المشرع

والقاضي كونه خطيباً، ولا خطابة بدون لغة وأدب رفيع»[16]. ولا غرابة في أنّ القانون يعتمد على اللغة أساسا لتحقيق غايته، واللغة بدورها تُعنى بالمقاصد اللغوية التي يُعنى بها القانون، أي أن اللغة أداة للتعبير عن القوانين، والقانون وسيلة لتحقيق العدالة، فهي إذا علاقة الأداة بالوسيلة. وهكذا يكون التعالق بين اللّغة والقانون تعالقا استثماريا، تقتضيه حاجة القانون للّغة.

المطلب الثاني: علاقة اللسانيات القانونية بالعلوم اللغوية الأخرى

يُقصِر بعض الباحثين علاقة اللسانيات بالقانون من جهة أنها- أي اللسانيات القانونية- «تبحث تطوّرَ اللغة القانونية وخصائصها واستعمالها. قد يهتم جانب من الدراسات في هذا التخصص بالمعجم (ولا سيما المصطلحات)، والتركيب (العلاقات بين المفردات)، أو الدلالة (معنى الكلمات) في اللغة»[17]، لكنّ اللّسانيات القانونية تتجاوز ذلك إلى البحث في كلّ مستويات اللغة بدْءًا من الصوت إلى البنى الصرفية والمعجم إلى تركيب اللغة القانونية، ومدلولاتها الاجتماعية والثقافية والبعد التداولي لها، وكذلك السيميائي في قراءة إشارات الشخص وحركاته وإيماءات الوجوه والعيون...إلخ. وفيمَ سيأتي تفصيلٌ في تعالق هذه العلوم اللغوية المختلفة باللسانيات القانونية

اللسانيات القانونية وعلم الأصوات

تتقاطع الدراسات اللسانية مع الدراسات القانونية في مجالات شتى، من بين هذه المجالات فرع مهم من فروع اللسانيات ألا وهو علم الأصوات، فـ «اللسانيات تقوم بمدّ البحث الجنائي بوسائل مهمة تقوم أساسا على تحديد صوت المتكلّم من خلال تحليل الحزمة الصوتية للمجرمين ومعرفة تلك التي تتطابق معها»[18]. يتمّ ذلك عن طريق تمثيل رياضي معقّد لجميع العوامل التشريحية والصوتية التي تجعل صوت كلّ شخص فريدا من نوعه (Nuance gaekeeper) وهي منصة بيومترية، تُعَدّ نوعا من الذكاء الاصطناعي تُسمى **الشبكة العصبية العميقة**، ولإنشاء هذا النموذج يتحدّث الشخص بشكل طبيعي، وفي غضون ثوانٍ يتمّ التقاط بصمة الصوت الخاصة به دون الحاجة إلى أجهزة خاصة. يمكن

القيام بذلك من خلال مركز اتصال أو ويب أو في تطبيق الهاتف المحمول. يقوم برنامج (Gatekeeper) فيقسمّ كلّ صوت إلى مجموعة من الخصائص التي يتمّ قاسها مقابل ملايين المعلمات باستخدام نموذج تم تدريبه وتطويره لأكثر من عقدين من الزمن. يقوم المحرك الصوتي الخاص (Gatekeeper) بإنشاء نموذج واحد ومشفّر لصوت الشخص وهو البصمة الصوتية (Voiceprint) للتحقق من هوية المتكلم، فيُقارن صوتُه بالبصمة الصوتية المخزّنة، وحساب درجة الاحتمالية التي تجيب عن السؤال: هل هو المتكلّم الحقيقي أم المحتال؟ يحدث كلّ هذا في ثوانٍ، ويوفّر معدلات النجاح في المصادقة، تصل إلى **99٪** [19].

وتعدّ **البصمة الصوتية** من أهم الوسائل التي يُتوصَّل بها إلى المشتبه به الحقيقي، وهي: «ما يُطلَق عليها الخصائص الصوتية للمتحدث، من خلال تحليل المقاطع الصوتية له»[20]، وتعتمد في هذا على مبدأ أن: «لكلّ إنسان جهاز صوتي فريد لا يشابهه أحد فيه...وأنّ لكلّ إنسان نظاما عصبيا فريدا يتحكّم في الجهاز الصوتي»[21]، فالسمات الصوتية للإنسان تجعله مميزا عن غيره، هذا ما يساعد اللّسانيين على تحديد هوّية المتحدث.

وقد «شاع استخدام **البصمة الصوتية** في تحديد هوية المتحدث، وهذا يتم عند الحصول على تسجيل الصوت شخص ما ويكون للتسجيل علاقة بجريمة ثم يقبض على المتهم وتبحث الشرطة عن أدلة لإثبات أو نفي التهمة ويكون ضمن ذلك التسجيلات الصوتية للمتّهم. وعند إنكار المتّهم للصوت يقوم خبير الصوت بمطابقة الصوت المسجل مع صوت المتهم للخروج بتقرير حول الشبه بين الصوتين..» [22]

إضافة إلى أن للّهجة التي يتحدث بها الإنسان دورًا كبيرا في التّعرف عليه؛ «فيمكن إثبات أو نفي صحّة حديث مسجل لمتهم وذلك بناء على سمات لهجته»[23]، «كما يرسم الصوت بعض الملامح الشّخصية لصاحبه من خلال الطريقة التي يتحدث بها»[24]، إضافة إلى هذا فإن علماء اللسانيات يستفيدون من علم الأصوات في مجال البحث عن المتهم الحقيقي من خلال دراسة النّبر والتنغيم؛ إذ أنه من خلال نبرة الصوت يتم التعرف على الحالة النفسية

للمتحدث ويستغل المحققون هذه الظواهر الصوتية في معرفة انفعال المتكلّم وصدقه أو كذبه ، «فاستخدام نبرة صوت عالية في نهاية كل جملة يدلّ على عدم الصدق، لأن ارتفاع الصوت في نهاية الكلام هو "حيلة دفاعية" لإخفاء معلومات معينة»[25].

يؤكّد "فالتر زندلماير" أنّ «الصوت يكشف أنّ كل إنسان يرسل دون وعي رسائل معينة عبر صوته تكشف الكثير عن شخصيته وحالته النفسية والصحية والعمر أيضا من الأمور التي يمكن الكشف عنها بسهولة من خلال الصوت، فالتقدم بالعمر يؤثر على وضع ومدى ارتخاء الحبال الصوتية ما يجعل أصوات كبار السن في الغالب مرتعشة غليظة كما أنهم يتكلمون ببطء ويركزون على مخارج الحروف»[26]. ليس هذا فقط، بل تكشف البصمة الصوتية عن مزاج المتكلّم ووقد اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية في العديد من ولاياتها بنتائج البصمة الصوتية وقبلتها كدليل مادي يمكن تقديمه للقضاء في كثير من القضايا (كالقتل والشروع فيه، والاغتصاب، والرشوة، والسطو على المنازل، وما إلى ذلك).

اللسانيات القانونية وعلم الصرف:

علم الصرف أو علم تشكُّل الكلمات هو العلم الذي يُعرف به أحوال بنية الكلمة، وصرفها على وجوه شتى لمعانٍ مختلفة، وقد يكون هذا التغيير في البنية لسبب معنوي، أو لفظي. ورجل القضاء مهما كانت وظيفته؛ مشرّعا أو قاضيا أو محاميا... لا بدّ أن يكون عالما بمسائل علم الصرف، فتوظيف صيغة دون أخرى في النص القانوني واختيارها في سياق ما منوط بالدلالة وقوانين علم الصرف، إذًا استعمال المبني للمعلوم يختلف عن المبني للمجهول، واسم الفاعل، والمفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل والصفة المشبهة... ومع تغيّر القالب الصرفي؛ تتغيّر الدلالة أو الوظيفة الصرفية للصيغة في النص القانوني.

فمثلا نجد النص القانوني يميل إلى توظيف **المبني للمعلوم** ليحدّد الفاعل ويخصّصه، فيكون معروفا، مثل «**تَعْقِدُ** المرأةُ الراشدة زواجها بحضور وليّها» [27]

ونجد في لغة القانون صيغة المبني للمجهول، حيث يتيح استعمال هذه الصيغة «التعبير عن القاعدة القانونية بصورة عامة مجرّدة، بحيث لا تُوّجه إلى شخص معيّن

بالذات، ولا تحكم واقعة معينة، بل تطبّق على عدد غير محدود من الأشخاص والوقائع»[28]، وغالبا ما نجدها في قوانين العقوبات، ومثالها «**يُعاقب** بالسجن المؤبّد كلّ من يجمع معلومات، أو أشياء، أو وثائق، أو تصميمات بغرض تسليمها إلى دولة أجنبية والذي يؤدي جمعها واستغلالها إلى الإضرار بمصالح الدفاع الوطني أو الاقتصاد الوطني»[29].

وانظر مثلا في موضع آخر توظيف صيغتين مختلفتين في القانون المدني الجزائري لمادة لغوية واحدة كيف يغيّر مفهوم المصطلح، ورد في المادة 184 من قانون الأسرة الجزائري «**الوصيّة** تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع»[30]. ويقصد بذلك أنّ الوصية وسيلة من وسائل كسب ملكية معيّنة بعد أن يوصي الميّت بها للموصى له. والوصيّة على وزن **(فَعِيْلَة)** من الفعل الرباعي (وصّى) وجذره الثلاثي**(وصى)**. لكنّ بناء مصدر هذا الجذر على وزن **(فِعَالَة)** يغيّر مفهوم المصطلح القانوني، فـ**(الوِصَاية)** ليست **(الوصيّة)** لا في اللغة ولا القانون. الوصاية في القانون الجزائري هي إجراء قانوني شرعه لحماية القُصَّر والأيتام، فيُعهد إلى طرفٍ ما برعاية شؤونهم، ورد في القانون الجزائري «يحق للأب أو الجدّ أن يُعيّن وصيّا إذا لم يكن للولد القاصر أم تتولى أموره أو ثَبَت عدمُ أهليتها لذلك»[31]

وانظر في قانون الأسرة المادة (05) في أحكام الخطبة، يقول المشرّع: «... يجوز للطرفين العدول عن الخطبة. إذا ترتّب عن العدول عن الخطبة ضرر ماديّ أو معنوي لأحد الطرفين جاز الحكم له بالتعويض. لا **يستردّ** الخاطب من المخطوبة شيئا مما أهداها إن كان العدول منه، وعليه أن **يرد** للمخطوبة ما لم يستهلك مما أهدته له أو قيمتَه»[32]. فصِيغ الفعل على وزن (**استفعل**) للدلالة على الطلب، وفي هذه الحال لا يحقّ للخاطب أن يطلب ردّ هداياه من المخطوبة، ولأنّ الأمر يخصّ الطلب أُختيرت صيغة(**استفعل**)، لكن عندما تعلّق الأمر بالرد، فهو المطالب بردّ هداياها إليها وُظّفت صيغة **(فَعَل)** أي **(ردّ)**

وفي القانون نفسه، يعرّف المشرّع الأسرة قائلا: «الأسرة هي الخليّة الأساسية للمجتمع...تعتمد في حياتها على **الترابط والتكافل** وحُسن **المعاشرة**...»[33]. لو تأمّل القارئ

مفردات (الترابط والتكافل والمعاشرة) لوجد المشرّع يتعمّد استعمال صيغة **(تفاعل)** و**(مفاعلة)** للدلالة على المشاركة، فلا بدّ أن يتبادل أفراد الأسرة المودة وحُسن المعاشرة وأن يكفل الواحد منهم الآخر وأي تقصير من طرفٍ من الأطراف يُحدث الاصطدام والمشاكل فينفكّ الرباط. وهكذا هو توظيف المشتقات وكل الصيغ الصرفية في النص القانوني محكوم بالدلالات والأغراض والمقاصد.

اللّسانيات القانونية وعلم التركيب:

يهتم علم التّركيب (**syntax**) بدراسة العلاقات القائمة بين عناصر الجملة، ففي هذا المستوى تدرس اللّسانيات القانونية في النص القانوني **طول الجملة، والعبارات السّببية، ودلالة الربط، والشرط والاستثناء**...الخ وعادة تتميّز النص القانوني على جمل طويلة «تتسع لحمل العناصر العديدة للفكرة القانونية»[34] ويبنى النص القانوني على أساس جملة قانونية تمثل الجملة الرئيسية، تحمل على الأغلب فكرة واحدة لا غير، تحتوي هذه الجملة على تركيب إسنادي اسمي أو فعلي يتكون من **مسند ومسند إليه** ويسمى **تركيبا مستقلا** (جملة نصية) يحمل هذا التركيب حكما **بالإلزام، أو الإباحة، أو المنع، أو الإجازة أو العقاب**... ويُطلق عليه **جملة حُكمية**، بالإضافة إلى تركيب أو أكثر **غير مستقل يسمى تابعا ويعد جزءا من الجملة** (جملة غير نصية) تضيف **تقييدا لمعنى الجملة القانونية** (الحكم) كالشرط والاستثناء والحال والنعت والبدل...وهي مكمّلة لمعنى الفكرة وتوضّح الحكم القانوني الذي يتضمنه التركيب المستقل. والجملة القانونية ثلاثة أقسام: جملة بسيطة، جملة مركبة وجملة تركيبية، نفصّل فيها على النحو الآتي:

الجملة البسيطة ونعني بها الجملة المكوّنة من مسند ومسند إليه أي تركيب إسنادي مستقل واحد، وقد يكون تركيبا اسميا أو فعليا ومثالها: «اللّغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية»[35]. أما الجملة المركّبة فنعني بها الجملة المكوّنة من تركيبين إسناديين مستقلين يتم الربط بينهما بواسطة أداة ربط، ومثالها: «تنشأ المتوسطة بمرسوم، وتلغى وفق الشكل نفسه»[36]. وأكثرها ملاءمة للاستعمال هي الجملة التّركيبية والتي تحتوي على

تركيب إسنادي مستقل واحد، وتركيب أو أكثر غير مستقل تربط بينهما أداة تركيبية، مثال هذه الجملة: «يُعاقب باعتباره قاتلا كلُّ مجرم مهما كان وصفه استعمل التّعذيب أو ارتكاب أعمال وحشية لارتكاب جنايته»[37].

«للرّبط أهمية كبرى في بناء القواعد القانونية، إذ يلجأ إليه المشرّع لاستيفاء جوانب المعنى القانوني واستقصاء الفروض والأحكام التي تتضمنها النصوص القانونية بجوانبها المختلفة»[38]. حيث يتشكّل النص القانوني من خلال تضام عدة جمل قانونية أو تراكيب، يتم الربط بينها بواسطة أدوات ربط، وأكثرها استخداما في لغة القانون:

العطف إذ تُعد **(الواو)** من أكثر أدوات الرّبط توظيفا في النصوص القانونية، وتربط بين تركيبين مستقلين أو أكثر، تفيد (الواو) الجمع وإشراك الحكم أو إضافة حكم إلى حكم، مثال: «لكلّ مواطن تتوفر فيه الشروط القانونية الحق في أن يَنتخب وأن يُنتخب»[39].

بالإضافة إلى الأداة **(أو)** والتي تعد هي الأخرى من أكثر أدوات الرّبط استخداما في بناء النص القانوني، وتفيد التخيير كما تفيد أحيانا «الإضافة والتعدّد والتنوع في استيفاء عناصر التصرّف أو الواقعة (الفرض القانوني)، وذلك للإحاطة بشتى جوانب القاعدة القانونية التي يتضمنها النص»[40]. ومثالها: «يعاقب بالسجن المؤبد كل قاض أو موظف أو قائم بوظيفة عمومية قام أثناء تحريره محررات من أعمال وظيفته بتزييف جوهرها أو ظروفها بطريق الغش وذلك إما بكتابة اتفاقات خلاف التي دونت أو أمليت من الأطراف أو بتقريره وقائع يعلم أنها كاذبة في صورة وقائع صحيحة أو بالشهادة كذبا بأن وقائع قد أعترف بها أو وقعت في حضوره أو بإسقاطه أو بتغييره عمدا الإقرارات التي تلقاها»[41].

الشّرط

تحمل الجملة التّركيبية صيغة الشرط، ويعد التركيب الشرطي من التّراكيب النحوية التي تربط بين تركيبين، يسمى الأول جملة الشّرط وهو تركيب غير مستقل، أما التركيب الثاني يسمى جواب الشّرط وهو تركيب مستقل ذلك لأنه يحمل الحكم القانوني، يربط بين التركيبين أداة ربط تركيبية وهي أداة الشّرط، ويفيد الرّبط الشرطي معنى

الاستلزام أي أن الحكم القانوني متعلق بالفرض (الشّرط). مثال: «إذا ثبت بطلان النكاح فلا توارث بين الزوجين»[42].

«عندما يأتي الحكم القانوني محمولا على الجملة الشّرطية (الشّرط + الجزاء)؛ فإن هذه الجملة تكتسب -شأنها شأن الفعل الإنجازي- قوة فعل الكلام لدى المخاطبين بأحكام القانون»[43]. وكثيرا ما يعتمد المشرّع في بنائه للقواعد القانونية على الجمل الشّرطية خاصة في قوانين العقوبات، «حيث الحاجة إلى تحديد عناصر الفعل المجرم، والحالات والفروض التي ينطبق فيها العقاب المقرر»[44] مثل: «يُعاقب الموظف بالسّجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات إذا أمر بعمل تحكمي أو ماس سواء بالحرية الشخصية للفرد أو بالحقوق الوطنية لمواطن أو أكثر»[45]. وتحتل الأداة التّركيبية (إذا) الصدارة من بين أدوات الشّرط الأخرى في النصوص القانونية حيث تفيد هذه الأخيرة معنى التحقيق، كما تحمل أيضا معنى الشّرط ومعنى الفرض، وتعد الأنسب في صياغة القواعد القانونية التي تتضمن التراكيب الشّرطية.

الاستثناء

هو «تركيب يرد في النص القانوني غير مستقل بنفسه، أي لا يستقل بالإفادة بنفسه، ويسبقه تركيب مستقل يحمل مضمون الحكم القانوني، وتربط بينهما (إلا) أو إحدى أخواتها، على النحو التالي:

تركيب مستقل ← أداة استثناء تركيب غير مستقل»[46]

«وأكثر ما يلجأ المشرّع إلى الاستثناء في لغة القانون في النصوص التي تتضمن معنى الحظر وعدم الجواز، فيقطع الاستثناء هذا الحظر، ويقصره على حالة معينة ولكي يفيد الاستثناء ذلك يأتي في الأغلب مسبوقا بالنفي»[47]، مثال: «لا يسري القانون إلا على ما يقع في المستقبل ولا يكون له أثر رجعي. ولا يجوز إلغاء القانون إلا بقانون لاحق ينص صراحة على هذا الإلغاء»[48]. ويفيد الاستثناء التخصيص كأن يخصص المشرّع في النص القانوني العقوبة بفاعلها فقط، وكثيرا ما نجد المشرّع يستخدم الاستثناء في صياغة قوانين

العقوبات، ولابد أن نشير إلى أن أشهر صيغ الاستثناء استعمالا في النصوص القانونية هي: (إلا). وهكذا يتشكّل النص القانوني، وتتوضّح علاقة اللسانيات القانونية بعلم التركيب.

اللسانيات القانونية وعلم الدلالة:

تتّصل اللسانيات القانونية صلة وثيقة بعلم الدلالة (semantics)؛ حيث يعتمد التفسير القانوني بالأساس على دلالة الألفاظ والجمل في النصوص القانونية، ويُعدّ هذا الأخير علما قائما بذاته يهدف إلى النظر في دلالات الألفاظ والعبارات ومعانيها لاستخلاص الحكم القانوني. ويتحقّق الوجه الصحيح للحكم القانوني الذي صاغه المشرّع بفهم القصد من النص القانوني. والأحرى أن نقول: «إن أدقّ موطن تطبّق فيه قواعد علم الدلالة ومفاهيمه هو علم القانون؛ لأن مدار الحكم فيه على الدلالات المختلفة للأقوال والأفعال. وإذا كان علم الدلالة في اللسانيات يقوم على معاني الألفاظ والجمل والسياقات، فإن العلوم القانونية كلها تفعل ذلك، وتضيف إليه تركيزها على دلالات الأحداث والمواقف والأفعال، والعلاقات. وتجعل كل أولئك مؤثرة إيجاباً أو سلباً في الحكم. بل إن القوانين نفسها تحسب هذه الأمور وترصدها، وتحدّد أكثر تبعاتها، وتبني الأحكام على أساس ذلك. وقد تقع أحداث غير متوقعة، فيتوجه رجال القانون إلى تحديث القوانين، وتعديل الأحكام، بما يتناسب والوقائع الجديدة»[49].

«والأصل في النص القانوني-كما يقرر الأصوليون- أن يكون واضح الدلالة على المراد منه»[50]، حيث تتضمن ألفاظه وعباراته غاية المشرّع من الحكم القانوني، ما يسمى بتفسير النص القانوني، يعرف هذا الأخير بأنه«بيان معنى القاعدة القانونية بتحديد مدلول الألفاظ التي عبر بها المشرع، وهو معنى لا ينبو أيضا عن المعنى اللغوي للتفسير الذي هو الكشف والإظهار»[51].

يرتبط تفسير النص القانوني بصياغته، فمتى كانت صياغة المشرّع واضحة ودلالات الألفاظ بيّنة، يتجلى قصد المشرع وإرادته من النص القانوني، هذا ما يعني «أنه لا غنى لمفسّر هذا النص- كما أنه لا غنى لصائغه- عن إتقان اللّسان العربي فهما وتطبيقا،

والتسلّح بقواعد اللغة وأصول استخلاص دلالاتها في فك شفرات هذا النص واستنباط الحكم القانوني منه، فالجهل بهذه القواعد والأصول يؤدي -لا محالة- على الفهم الخاطئ للنصوص القانونية»[52]. والتفسير القانوني نوعان: تفسير لفظي وتفسير منطقي، يعتمد التفسير اللفظي على معرفة دلالة الألفاظ والعبارات، أما التفسير المنطقي فهو يتجاوز دلالة الأبنية اللغوية إلى مقصد المشرع من التشريع، كون الحكم القانوني يخاطب العقل الذي يمثل وسيلة التفكير والفهم، ثم إن نوعي التفسير يتحدان ليكملا بعضهما البعض حتى يستقيم المعنى حسب على إرادة المشرع.

وبالتالي إن دراسة الدلالة هي السبيل لاستنباط الحكم من النص القانوني، ويكون ذلك بواسطة استخلاص دلالة الألفاظ المذكورة في النص عن طريق: «العبارة أو الإشارة أو الاقتضاء»[53]، وهو ما يسمى بـ" دلالة المنطوق"؛ والتي لا بد للمشرّع فيها أن يكون على دراية تامة بمعاني ودلالات الألفاظ، وأن يدرس دلالات الألفاظ جميعها كونها نسقا مترابطا لا وحدات مستقلة. ويُقصد بدلالة العبارة: دلالة النص على المعنى الذي أراده المشرع لها، وهو المعنى الصريح الذي يتبادر إلى الذهن أوّل قراءة أو سماع العبارة. أما دلالة الإشارة فهي: «دلالة النص على معنى لازم لما يُفهم من عبارته، غير مقصود من سياقه»[54]، ويحتاج فهمه إلى إعمال الفكر، فهو معنى غير صريح. أما الاقتضاء فهو: «المعنى الذي لا يستقيم النص القانوني إلا بتقديره»[55].

كما يتم استنباط الحكم من النص القانوني بواسطة دراسة "دلالة المفهوم" وهي: «دلالة اللّفظ على شيء لم يذكر في الكلام، وينقسم المفهوم إلى: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة»[56]. تسمى دلالة الموافقة أيضا بدلالة النص ومنه تُعرف بأنها: «دلالة النص على ثبوت حكم لشيء منصوص عليه لشيء آخر مسكوت عنه، لاشتراك الشيئين في علة هذا الحكم التي يمكن فهمها بمجرد فهم اللغة»[57]. وبالنسبة لمفهوم المخالفة فيُعنى به: «ثبوت نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه»[58].

«تفيد كل من دلالة المنطوق ودلالة المفهوم الحكم الثابت بها، ويكون النص حجة على هذا الحكم. ولكن هذه الدلالات متفاوتة في قوتها، فدلالة العبارة أقوى من دلالة الإشارة، لأن الأولى تدل على المعنى المقصود بسياق النص، أما الثانية فتدل علة معنى غير مقصود في السياق. وكذلك فإن دلالة الإشارة أقوى من دلالة المفهوم، لأن الأولى تدل على المعنى بنفس اللفظ وصياغته، أما الثانية فتدلّ على الحكم بمعقول النص ومفهومه، وإذا تعارضت الدلالتان ترجح الأولى على الثانية»[59].

ولا شكّ أن النص القانوني السّليم هو النص الذي تكون دلالات ألفاظه وعباراته واضحة لا لبس فيها، تعبر عن إرادة المشرع ولا تترك مجالا للتأويل والتقدير، ولا يخفى علينا الكثير من حالات العُوار القانوني الذي يرجع سببها إلى سوء تفسير النصوص القانونية وخروجها عن معناها الذي وُضعت لها، ما يؤدي إلى عرقلة مسار تحقيق العدالة، ولعل من أوضح الأمثلة على غموض النص القانوني قرار مجلس الأمن الدولي رقم242 الصادر في أعقاب حرب يونيو1967 والذي نص على: «انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير»[60]، فتنكير لفظ (أراضٍ) يُقصد به الغموض، فلو نص القرار على (الأراضي) لكانت واضحة ولكان المقصود بها الانسحاب من كل الأراضي المحتلة في ذلك النزاع.

ممّا سبق كله نستنتج أن علم الدلالة تضطلع بمكانة مركزية في اللسانيات القانونية، فبوساطة مبادئها يُستخلص الحكم من النص القانوني ويُفسر ويُفهم.

اللسانيات القانونية والمصطلح والصناعة المعجمية:

اللّغة القانونية لغة متخصّصة تقنية اصطلاحية، تُعدّ مادة المعجم القانوني، فيسيتعين رجل العدالة إليه في وضع النص القانوني أو تفسيره، «ومن المقرر أن عبارة النص تؤخذ على معناها اللغوي، ما لم يكن لها مدلول اصطلاحي يصرفها إلى معنى آخر»[61]، أي أن المعنى الاصطلاحي غالب على المعنى اللغوي، ومع هذا فإن الدلالة المعجمية تتكاثف مع الدلالة الاصطلاحية في استخلاص معنى الحكم القانوني وتفسيره. كما تُفارق

اللغة القانونية اللغة العادية بمصطلحاتها القانونية التي تستقى من المعجم اللغوي القانوني، وتختلف مصطلحات هذه اللغة الخاصة من حقل قانوني إلى آخر (إداري، جنائي، مدني...) وهوما يحدث ظاهرة التعدّد الدلالي.

اللسانيات القانونية والتداولية:

يظهر الطّابع التداولي للنص القانوني من خلال ربطه بمكوناته التداولية من مقاصد وسياقات وأطراف العملية التواصلية وظروفها، وهذا ما يحيلنا إلى الخطاب القانوني.

ولغة الخطاب القانوني لغة مهنية، مليئة بالأفعال التوجيهية، التي تنظّم الحياة، ذات طابع تداولي، ذلك لأن القصد من القواعد القانونية ليس دائما الإخبار إنما الإجراء والتطبيق، وهذه الأخيرة تعبّر عن الإرادة الجماعية كونها تحكم سلوك الأفراد، إضافة إلى كون القانون مجموعة من القواعد القانونية التي تنظم العلاقات الاجتماعية؛ يفرض وجود علاقة بين أطراف التواصل أي المشرّع والأفراد الموجه إليهم الخطاب، وهكذا يظهر البعد التداولي للنص القانوني.

لهذا تتّسم النصوص القانونية كذلك **بطابعها الإنجازي**؛ لأنها تحمل قواعد **آمرة ملزمة**، حيث توصف عبارة النص القانوني بأنها عبارة إنجازية تحمل مضمون الحكم التشريعي، وذلك بوساطة أفعال تسمى **أفعال الكلام**.

ارتبطت نظرية أفعال الكلام لـ"أوستين" بالقانون وذلك راجع إلى أن: «القانون هو المجال الأنسب والأرضية الأخصب لتطبيق هذه النظرية وتجلي ما مفاده أننا عندما نتكلم لا نتلفظ بعبارات فقط، وإنما ننجز أعمالا معينة نؤثر من خلالها في الأشخاص ونغير الوقائع. وأن القانون يؤدي وظيفته من خلال أفعال الكلام، بل إن وظيفته مشروطة بإنجازية عباراته»[62]. إنّ «الفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي...»[63]. فالمشرّع في تعبيره عن القاعدة القانونية يستعمل الفعل الإنجازي وهو فعل يتصدّر النص القانوني ويحمل الحكم التشريعي سواء

بالإباحة أو المنع أو الحظر...ويرد الفعل الإنجازي بصيغة المضارع المرفوع، ونموذج ذلك الفعل (يُعاقب) من نص المادة القانونية: «**يُعاقب** بالسجن المؤبد كل من يجمع معلومات، أو أشياء، أو وثائق، أو تصميمات بغرض تسليمها إلى دولة أجنبية والذي يؤدي جمعها واستغلالها إلى الإضرار بمصالح الدفاع الوطني أو الاقتصاد الوطني»[64].

تتّصف العبارات الإنجازية بأنها: «ليست أخبارا تحتمل التصديق أو التكذيب، بل هي أقوال إنجازية يقع على عاتق المخاطبين بها تنفيذ مضمونها والعمل بمقتضاها»[65]، حيث أنّها لا تصف ولا تقرر شيئا، بل في الحقيقة مجرد النطق بالعبارة الإنجازية يُعدّ إنجازا لجزء منها أو تنفيذا لها ككل.

ومن نماذج العبارات الإنجازية القانونية هذا النص من القانون المدني الجزائري: «يلتزم البائع بتسليم الشيء المبيع للمشتري في الحالة التي كان عليها وقت البيع»[66]، فهذا ليس خبرا يحتمل الصدق أو الكذب، بل قولا إنجازيا يُعمل به من طرف المخاطبين به. إذًا فاللّغة القانونية لغة أغراض خاصة ذات طابع تداولي إنجازي، لأن النص القانوني «لا يكتسب قيمته إلا إذا تحول إلى واقع منجز»[67]، وأكثر خطاب تتحقق قيمتُه بإنجازه وتطبيقه في الواقع هو الخطاب القانوني.

اللّسانيات القانونية والسيميولوجيا:

تدرس السيميولوجيا العلامات اللّغوية وغير اللغوية والتي بفضلها يتحقق التواصل، ويعرّفها "فرديناند دي سوسير" بقوله أنها: «علم يدرس حياة العلامات أيا كان مصدرها في إطار الحياة الاجتماعية»[68]. فهي إذن علم يهتم بالدلائل أو العلامات.

تلتقي السيميولوجيا مع علم القانون كونهما يستعملان الدلائل اللسانية وغير اللسانية، حيث يستفيد القانون من مبادئ هذا العلم في التحقيقات بهدف الكشف عن المجرم، إذ أن الكثير من طلبات الفدية والرسائل والاتصالات التهديدية تحمل إشارات أو علامات لغوية تدلّ على المجرم يستفيد منها المحققون للقبض عليه. «وفي القضايا التي لا يوجد مشتبه بهم، قد يكشف فحص الأدلة اللغوية عن معلومات إثنية- دينية أو

اجتماعية محتملة عن المهدد، أما في المواقف التي توجد فيها مجموعة محدودة من المشتبه بهم، فقد تساعد المقارنة والمشابهة، بين لغة التهديد من جهة وبين الوثائق المكتوبة لكل مشتبه به من جهة أخرى، في تضييق نطاق المشتبه بهم»[69].

كذلك يُعدّ تحليل خط اليد في رسائل الفدية من الدلائل اللغوية التي تُسهم في معرفة المجرم، وقضية «هاوبتمان»[70] من القضايا المشهورة التي كان تحليل الخط فيها دليل كشفٍ عن المجرم. كما أن تحليل اللكنة في مكالمات التهديد تُفيد في تتبع ومعرفة المهدد، إضافة إلى بعض الدلائل اللغوية في مكالمات الطوارئ قد تكشف عن رسالة يود أن يخبرها للسامع، فإلحاحه مثلا على بعض الكلمات أو استخدامه لرموز معينة، تُعدّ كلها علامات لغوية تسهم في التحقيق، وتحليل الدلائل اللغوية كذلك يكشف عن الانفعالات والحالة النفسية للمتحدث «فاستخدام نبرة صوت عالية في نهاية كل جملة يدلّ على عدم الصدق، لأن ارتفاع الصوت في نهاية الكلام هو "حيلة دفاعية" لإخفاء معلومات معينة»[71]. إضافة إلى أنّ سيماء الوجه من القرائن التي يعتمد عليها المحققون أثناء التحقيقات، لأن مراقبة ملامح الوجه يبلغهم برسائل في حقيقة الأمر.

ويتجلّى من خلال كلّ ما ذكرناه استفادة اللّسانيات القانونية من السيميولوجيا في دراسة وتحليل الدلائل اللغوية. وبهذا نستخلص أن البحث في مجال اللّسانيات القانونية قد استفاد من عدة علوم لغوية.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث أن نحدّد مظاهر التكامل المعرفي اللساني القانوني، أو بتعبير آخر أن نبيّن مظاهر تعالق اللسانيات القانونية وعلوم اللغة، وأهمّ النتائج التي خلص إليها البحث يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1) لا بدّ من تجسير الدراسات بين القانون بمجالاته المختلفة واللسانيات، وتعميق الوعي بخطورة اللغة في فهم النص سواء أكان نصا قانونيا أم غيره، وفي حياة المجتمع كلّها.

2) استثمار الدرس اللساني في الحقل القانوني سيسهم في خدمة العدالة ويساعد رجال القانون على الصياغة المحكمة للنصوص القانونية وفهمها.
3) من أبرز مظاهر التعالق اللساني القانوني هو استثمار الدرس اللّساني عبر مستويات التحليل اللساني، انطلاقا من الصوت إلى الدلالة.
4) يمكن توظيف معطيات علم الصوت للكشف عن هوية المجرم، وذلك بوساطة: البصمة الصوتية؛ يتمّ ذلك عن طريق تمثيل رياضي معقّد لجميع العوامل التشريحية والصوتية التي تجعل صوت كلّ شخص فريدا من نوعه، يحدث كلّ هذا في ثوانٍ، ويوفّر معدلات النجاح في المصادقة، تصل إلى 99٪.
5) يوظف النص القانوني الصيغة الصرفية توظيفا دقيقا صارمًا صرامةَ القانون.
6) تدرس اللسانيات القانونية على مستوى التركيب النحوي بناء وتشكيل النص القانوني، حيث إنّ الجملة في النصوص القانونية تختصّ بخصائص منها استعمال الجمل المركبة والطويلة، والارتكاز على بناء الجمل المبنية للمعلوم أكثر من البناء لما لم يُسَمَّ فاعله.
7) تساعد دراسة الدلالة رجال القانون فيما يخصّ التفسير القانوني وذلك في فهم دلالة ألفاظ وجمل النص القانوني، ويرتبط تفسير النصوص القانونية بحسن صياغتها أي وضوح دلالات ألفاظها؛ وهذا لفهم قصد المشرع من النص القانوني واستنباط الحكم منه.
8) ترتبط اللغة القانونية كونها لغة اصطلاحية بالمعجم القانوني.
9) ترتبط النصوص القانونية بمكوناتها التداولية من مقاصد، وسياقات، وأطراف العملية التواصلية وظروفها، وكثير من اللغة القانونية هي لغة إنجازية.
10) يعتمد رجال القانون في التحقيقات على تحليل الدلائل اللسانية بهدف الكشف عن المجرم، ويُتجاوز هذا الأمر إلى دراسة سيمياء الوجوه، والسلوكات، والإيماءات، والرسائل المكتوبة بخط اليد ومكالمات التهديد، كما يقومون بتحليل الدلائل غير اللسانية كدراسة سيماء الوجه، وهو ما يتقاطع مع علم السيميولوجيا.

لهذا يوصي البحث بضرورة تكوين رجال قطاع العدالة تكوينا لسانيا لإنشاء نصوص قانونية دقيقة ومضبوطة، وتفسيرها وتطبيقها وتحقيق العدالة من خلالها ولا يتأتّى ذلك إلا بالوعي العميق بخطر اللغة ودورها في حياة المجتمع.

المصادر والمراجع

المصادر:

1) **الدستور الجزائري**، 2020
2) **القانون الأساسي النموذجي للمتوسطة**، 2016
3) **قانون الأسرة الجزائري**، 2005
4) **قانون الأسرة الجزائري**، 2007
5) **قانون العقوبات الجزائري**، 1966
6) **قانون العقوبات الجزائري**، 2012
7) **القانون المدني الجزائري**، 2007
8) **قرار مجلس الأمن الدولي** رقم 242 الصادر عام 1967

الكتب:

1) حافظ إسماعيلي علوي، **الخطاب القانوني**، ترجمات مختارة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2023.
2) 11. ـــــــــــ، **لغات القانون**، ترجمات مختارة، تق: سعد مصلوح، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2022.
3) 11. ـــــــــــ، **اللسانيات والقانون**، بحوث وترجمات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2022.

4) 11. ـــــــــــ، **لغات القانون**، ترجمات مختارة، تق: سعد مصلوح، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2022.

5) سامي عباينة، **اتجاهات النقد العربي في قراءة النص الشعري الحديث**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.

6) سعيد أحمد بيومي، **الصياغة والبلاغة مع نماذج من النصوص القانونية والأحكام القضائية**، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2017.

7) 11. ـــــــــــ، **لغة الحكم القضائي (دراسة تركيبية دلالية)**، تق: مُحَمَّد سليم العوا، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2007.

8) 11. ـــــــــــ، **لغة الفتوى القضائية تطبيقات دلالية**، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2018.

9) 11. ـــــــــــ، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط2، 2020.

10) سمير شريف استيتية، **اللسانيات؛ المجال، والوظيفة، والمنهج**، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط2، 2008.

11) صالح بن فهد العصيمي، **مقدمة في اللسانيات الجنائية، تعريفها، ومجالاتها، وتطبيقاتها**، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 1، 2020.

المقالات:

1) ابتسام بنت عبد الرحمن الرشودي، **اللسانيات والصوتيات الجنائية**، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 2، العدد7.

2) أمبارك بن مصطفى، **اللسانيات القانونية – دراسة في المفهوم والمجال–**، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، المجلد7، العدد4، ديسمبر 2022.

3) زياد علي عبد الغفار، **قانون اللغة ولغة القانون**، مجلة دراسات قانونية، العد 3، البحرين، فبراير 2020.

4) سعاد طبعة، **مقدمة في اللسانيات الجنائية وواقعها في العالم العربي**، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد5، 2022.

5) سعاد طبعة، **مقدمة في اللسانيات الجنائية وواقعها في العالم العربي**، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد5، 2022، ص:53.

6) عادل الشيخ عبد الله أحمد، **اللغة القانونية: تعريفاتها وتطبيقاتها في قوانين العرب**، المجلة الأندونيسية للدراسات العربية، المجلد3، العدد2، نوفمبر 2021.

7) عبد الحق بلعابد، **ترجمة النص القانوني بين كفاءات المترجم وإكراهات المصطلح**، مجلة المترجم، العدد13، الجزائر، يناير– جوان 2006.

8) عبد الحق بلعابد، **نحو حجاج قانوني من اللسانيات إلى التداوليات**، مجلة المخاطبات، العدد12، أكتوبر 2014.

9) عبد المجيد الطيب عمر، **علم اللغة الجنائي: نشأته وتطوره وتطبيقاته**، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد23، العدد45.

10) مُحَمَّد فارح، **البصمة اللسانية وأثرها في البحث الجنائي**، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد5، العدد2، 2021.

11) موساوي عمار، **نصية الخطاب القانوني وتماسكه، نماذج من القانون المدني الجزائري**، مجلة دراسات معاصرة، المجلد 6، العدد1، جوان 2022.

المواقع الالكترونية:

1) https://www.youtube.com/@NuanceInc. What is a voiceprint Understanding voice biometric authentication؟

2) مُحَمَّد السقا عيد، **حقائق مثيرة عن الصوت**، تاريخ الإضافة: 2017/4/9م- 1438/7/12هـ،
https://www.alukah.net/culture/0/114724/

[1]زياد علي عبد الغفار، **قانون اللغة ولغة القانون**، مجلة دراسات قانونية، العد 3، البحرين، فبراير 2020، ص450.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] حافظ إسماعيلي علوي، **اللسانيات والقانون، بحوث وترجمات**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2022، ص:19

[4] أنظر: حافظ إسماعيلي علوي، **الخطاب القانوني، ترجمات مختارة**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2023، ص:59

[5]عبد الحق بلعابد، **ترجمة النص القانوني بين كفاءات المترجم وإكراهات المصطلح**، مجلة المترجم، العدد13، الجزائر، يناير– جوان 2006، ص90–91.

[6]سمير شريف استيتية، **اللسانيات؛ المجال، والوظيفة، والمنهج**، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط2، 2008، ص 493.

[7] عبد الحق بلعابد، **نحو حجاج قانوني من اللسانيات إلى التداوليات**، مجلة المخاطبات، العدد12، أكتوبر 2014، ص142.

[8]حافظ اسماعيلي علوي، **الخطاب القانوني**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2023، ص 44.

[9] عبد المجيد الطيب عمر، **علم اللغة الجنائي: نشأته وتطوره وتطبيقاته**، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد23، العدد45، ص:280.

[10] صالح بن فهد العصيمي، **مقدمة في اللسانيات الجنائية، تعريفها، ومجالاتها، وتطبيقاتها**، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط 1، 2020، ص: 30

[11] موساوي عمار، **نصية الخطاب القانوني وتماسكه، نماذج من القانون المدني الجزائري**، مجلة دراسات معاصرة، المجلد 6، العدد1، جوان 2022، ص: 610

[12] سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، دار شتات للنشر والبرمجيات، مصر، ط1، 2010، ص: 6.

[13] عادل الشيخ عبد الله أحمد، **اللغة القانونية: تعريفاتها وتطبيقاتها في قوانين العرب**، المجلة الأندونيسية للدراسات العربية، المجلد3، العدد2، نوفمبر 2021، ص: 258.

[14] المرجع نفسه، الصفحة: نفسها.

[15] حافظ إسماعيلي علوي، **لغات القانون، ترجمات مختارة**، تق: أ. د. سعد مصلوح، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط1، 2022، ص: 15.

[16] المرجع السابق، ص: 15، 16.

[17] حافظ إسماعيل علوي، **لغات القانون–ترجمات مختارة**، تق: سعد مصلوح، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط1، 2022، ص: 58

[18] مُحَمَّد فارح، **البصمة اللسانية وأثرها في البحث الجنائي**، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد5، العدد2، 2021، ص:479

[19] انظر: https://www.youtube.com/@NuanceInc . What is a voiceprint Understanding voice biometric authentication? . تاريخ الزيارة: 2024/05/14/. الساعة الرابعة مساء.

[20] المرجع نفسه، ص:481

[21] المرجع نفسه، ص:482

[22] المرجع نفسه، بتصرّف يسير، ص:485

[23] ابتسام بنت عبد الرحمن الرشودي، **اللسانيات والصوتيات الجنائية**، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 2، العدد7، ص: 213

[24] مُحَمَّد فارح، **البصمة اللسانية وأثرها في البحث الجنائي**، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد5، العدد2، 2021، ص:479

[25] سعاد طبعة، **مقدمة في اللسانيات الجنائية وواقعها في العالم العربي**، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد5، 2022، ص:53

[26] مُحَمَّد السقا عيد، **حقائق مثيرة عن الصوت**، تاريخ الإضافة: 2017/4/9م– 1438/7/12هـ، https://www.alukah.net/culture/0/114724/، تاريخ الزيارة: 2024/05/15

[27] المادة 184، **قانون الأسرة الجزائري**، 2007

[28] المرجع نفسه، ص:254

[29] الأمر رقم 75–47، **قانون العقوبات الجزائري**، المادة 65، 17 يونيو 1975

[30] لمادة 184، **قانون الأسرة الجزائري**، 2007

[31] المادة 92، **القانون المدني**، 2007

[32] المادة5، **قانون الأسرة**، 2007

[33] المادة 01-02، من قانون رقم 84-11 المؤرخ في 09 رمضان / 9 يونيو 1984 المتضمّن قانون الأسرة المعدّل والمتمّم، **قانون الأسرة**.

[34] سعيد أحمد بيومي، **لغة الفتوى القضائية تطبيقات دلالية**، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2018، ص 96

[35] المادة3، **الدستور الجزائري**،2020

[36]مرسوم تنفيذي رقم 16-227، المادة8، **القانون الأساسي النموذجي للمتوسطة**، 2016

[37]الأمر 66-156، المادة: 72، **قانون العقوبات الجزائري**، 1966

[38] سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط2، 2020، ص237

[39] المادة 56، **الدستور الجزائري**، 2020

[40] سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط2، 2020، ص238

[41]الأمر66-156، المادة 215، **قانون العقوبات الجزائري**، 1966

[42]القانون رقم 84-11، المادة 131، **قانون الأسرة الجزائري**، 2005

[43] سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط2، 2020، ص250

[44] المرجع نفسه، ص251

[45]المادة رقم 107، الأمر رقم 66-156، **قانون العقوبات الجزائري**

[46] سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط2، 2020، ص278

[47] المرجع نفسه، ص281

[48]الأمر رقم 75-58، المادة 2، **القانون المدني الجزائري**

[49]سمير شريف استيتية، **اللسانيات، المجال، والوظيفة، والمنهج**، جدار للكتاب العامي للنشر والتوزيع، ط2، 2008، ص:493

[50]سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط2، 2020، ص 423

[51]المرجع نفسه، ص: 424

[52]المرجع السابق، ص: 428

[53]سعيد أحمد بيومي، **لغة الحكم القضائي (دراسة تركيبية دلالية)**، تق: مُحَمَّد سليم العوا، مكتبة الآداب، القاهرة– مصر، ط1، 2007، ص: 218

[54]سعيد أحمد بيومي، **لغة الفتوى القضائية تطبيقات دلالية**، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2018، ص: 131

[55]سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط2، 2020، ص: 455

[56]سعيد أحمد بيومي، **لغة الحكم القضائي (دراسة تركيبية دلالية)**، تق: مُحَمَّد سليم العوا، مكتبة الآداب، القاهرة– مصر، ط1، 2007، ص: 218

[57]سعيد أحمد بيومي، **لغة القانون في ضوء علم لغة النص، دراسة في التماسك النصي**، تق: مُحَمَّد أمين المهدي، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط2، 2020، ص:457

[58]سعيد أحمد بيومي، **لغة الفتوى القضائية تطبيقات دلالية**، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2018، ص: 131

[59]سعيد أحمد بيومي، **لغة الحكم القضائي (دراسة تركيبية دلالية)**، تق: مُحَمَّد سليم العوا، مكتبة الآداب، القاهرة– مصر، ط1، 2007، ص: 218، 219

[60]**قرار مجلس الأمن الدولي** رقم 242 الصادر عام 1967

[61]سعيد أحمد بيومي، **لغة الفتوى القضائية تطبيقات دلالية**، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط1، 2018، ص:67

[62]أمبارك بن مصطفى، **اللسانيات القانونية – دراسة في المفهوم والمجال–**، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، المجلد7، العدد4، ديسمبر 2022، ص488

[63]المرجع نفسه، الصفحة: نفسها.

[64]الأمر رقم 66–156، المادة 65، **قانون العقوبات الجزائري**

[65]سعيد أحمد بيومي، **الصياغة والبلاغة مع نماذج من النصوص القانونية والأحكام القضائية**، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2017، ص:105

[66]الأمر 75-58، المادة 364، **القانون المدني الجزائري**.

[67]أمبارك بن مصطفى، **اللسانيات القانونية – دراسة في المفهوم والمجال–**، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، المجلد7، العدد4، ديسمبر 2022، ص488

[68]سامي عباينة، **اتجاهات النقد العربي في قراءة النص الشعري الحديث**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص308.

[69]سعاد طبعة، **مقدمة في اللسانيات الجنائية وواقعها في العالم العربي**، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد5، 2022، ص:54

[70]ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[71]المرجع نفسه، ص:53

مجلّة انـــتـحـــــــاء

Intihaa Journal

المجلد (01) العدد(02)(2024) : رقم صفحة البداية70 – رقم نهاية الصفحة85 ISSN : 2992-1546

الدّلالة الصّوتيّة للصّوائت القصار في القرآن الكريم

The phonological significance of short vowels in the Holy Qur'an

الدكتورة: زينة بورويسة

bourouissa.zina@ens-ouargla.dz

مخبر الوسائط التّعليميّة- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة-الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2024/11/07 تاريخ القبول:2024/11/30 تاريخ النشر:2024/12/07

ملخص:

تعدّ الحركات من القضايا الصوتية التي أولاها العلماء اهتماما كبيرا، لما لها من دلالات قيّمة لا يمكن تجاوزها. ويحاول هذا البحث وضع الحركات تحت بقعة ضوء من شأنها أن تبرز قيّمها التعبيرية انطلاقا من الإعراب الذي كان أول الوظائف الذي حفل بها الدرس العربي، وصولا إلى الدلالة الاجتماعية والدلالة على الجنس وغيرهما، مما تمّ توظيفه في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: صوائت؛ دلالة؛ القرآن؛ الحركة؛ القيمة التعبيرية.

Abstract:

Vowels (harakāt) are considered one of the phonetic issues that scientists have paid great attention to, due to their significant meanings that cannot be overlooked. This research aims to shed light on the vowels in a way that highlights their expressive values, starting from the role of inflection (i'rāb), which was one of the first functions

addressed in Arabic grammar, and extending to their social significance, their indication of gender, and other functions, as employed in the Qur'an.

Key words: Vowels, Significance, Qur'an, Movement, Expressive value.

مقدمة:

استرعت قضية الدلالة الصوتية اهتمام اللغويين، واستقطبت جهودهم من ملاحظات "ابن جني" وتصنيفات "الخليل" إلى يومنا هذا باعتبارها ذات أهمية عظمى في فهم النص القرآني، وترجم اهتمامهم بالإعراب والقراءات القرآنية واللهجات وعيا مبكرا وناضجا لقضية الصوائت القصار(الحركات) وقيمها التعبيرية في القرآن الكريم المعجز بتعالق صوتي- دلالي منقطع النظير، ولعل ذلك ما حذا بهم إلى وضع معاجم الأبنية التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى.

الصوائت القصار في الدرس اللغوي:

أجمع جمهور العلماء ،القدامى والمحدثون، على أنّ الصوائت في اللغة العربية نوعان هما:

أ- صوائت قصار: وسميّت بالحركات، وهي الفتحة والضمة والكسرة.

ب- صوائت طوال: وسميّت أيضًا أصوات المد، العلل، أصوات اللين وهي: الألف والواو والياء، إلاّ أ نهم اختلفوا في أسبقيتها ؛ فقال فريق: إنّ الحروف (أ، و، ي) سبقت الحركات (الفتحة الضمة، الكسرة)، وقال أخر بأنّ الحركات أسبق، وقال فريق ثالث بحصولها معًا. وعرض "ابن جِنّي" لهذه القضية في (الخصائص): وناقش أدلة كل فريق، ثمّ انتصر لـ"سيبويه" الذي يرى بأنّ الحرف أسبق من الحركة . يقول "ابن جِنّي" مُتَحَجِّجًا«فَمِمَّا يشهَدُ

لسيبويه بأنّ الحركة حادثة بعد الحرف وجودنا إيّاها فاصلة بين المثلين مانعة من إدغام الأول في الآخر؛ نحو الملَل والمشَش والضفف ، كما تفصل الألف بعدها بينهما؛ نحو الملال والضفاف والمشاش .وهذا مفهوم . وكذلك شددت ومددت فلن تخلو حركة الأوّل من أن تكون قبله أو معه أو بعده. فلو كانت في الرتبة قبله لما حجزت عن الإدغام ؛ ألا ترى أنّ الحرف المحرّك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزًا بينهما وبين ما بعده من الحرف الآخر».[1]

وأما القائلون بأسبقية الحركات على الحروف فقد« اِسْتَدَلُّوا على ذلك بأنّ الحركات إذا أشبعت حدثت منها هذه الحروف الثلاثة، واستدُلوا أيضا أنّ العرب قد استغنت في بعض كلامها عن الواو بالضمة وعن الياء بالكسرة، وعن الألف بالفتحة، فيكتفون بالأصل عن الفرع، لدلالة الأصل على فرعه »[2] . أَمَّا الفريق الثالث فرأى أنّه « ليست الحروف مأخوذة من الحركات ولا الحركات من الحروف؛ إذ لم يسبق أحد الصنفين الآخر»[3] .

وبمقارنة الصّوائت القصار والطَّوال نقف عند النقاط التالية :

1- جعل "ابن جني" الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين، «وسبب ذلك أنّ الحركة حرف صغير؛ أَلاَ ترى أنّ من متقدِّمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة ، والفتحة الألف الصغيرة. ويؤكِّد ذلك أنك متى أشبعت ومطلق الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها»[4]

2- تشترك الصّوائت القصار والصّوائت الطِّوال في طريقة النطق إذ عند«التلفُّظ بها يمر الهواء عبر جهاز النطق بطلاقة، والأمواج الصوتية، في هذه الحالة، تحدثها الأوتار وحدها»[5].

3- تختلف الصّوائت القصار عن الصوائت الطوال في المدة التي يتم فيها النطق بها؛ ف «الحركة إذا أطيل زمن النطق بها صارت حرف مد ،وكذلك حرف المد إذا قصُرَ زمن النطق به رجع إلى الحركة»[6].

4- تعتبر كل من الصوائت القصار والصوائت الطوال مهمة في المحافظة على دلالة الكلمة المقصودة.

الصوائت كالصوامت تؤدّي دلالات معينة في التشكيل الصوتي سواء منها القصيرة أو الطويلة. وقد انتبه القُدامى إلى هذه القضية، إلاّ أنهم ركّزوا اهتمامهم على الصوائت الطِّوال دون القِصار باعتبار أنّ الأولى ذات رموز خطية لا استغناء عنها، أمَّا الثانية فإنهم «لم يلتفتوا إليها التفاتا كافيا ينبئُ عن موقعها بوصفها مكونات النظام الصوتي لِلّغة. لقد نظروا إليها وتعاملوا معها كما لو كانت شيئاً عارضاً، أو تابعاً للحروف (الأصوات الصامتة) ليس لها استقلال أو كيان خاص. نلمس هذا من جملة ما صنعوا معها ، بل عدّها بعضهم (زوائد)، ليست أصلاً في بناء الكلمة »[7].

لكن هذا لا يعني أنهم لم يدركوا قيمة هذا العنصر الصوتي في المعنى، بل كانت لهم جهود وآراء تميّزت بـ:

1-الاهتمام بالحركات اهتماما بالغًا في تناول الظاهرة الإعرابية التي هي دليل صحة الكلام أو خطئه.

2- تحديد وظيفة الصّوائت في اللّغة، وقصرها على تحوير المعنى الرئيسي وتعديله، والذي ينبني أساسًا من الصّوامت.

3- إهمال الصّوائت القصيرة (الحركات) في الكتابة الأفقية وفصلها في مواقع فوقية أو تحتية، ما لا يخوّل لها أن تكون جزءًا من نسيج الكلمة.

ومن بين ما قدّمه القُدامى«معاجم الأبنية في العربية، و فيها يظهر بوضوح كيف يتغيّر معنى المبنى بتغيّر الحركة (الصّائت)، كما يتغيّر الحرف (الصامت). وفي إطار اهتمامات القدماء بالألفاظ التي تتّفق من حيث الحروف(الصّوامت)، وتختلف فيما بينها من حيث الحركات (الصّوائت) مع اختلاف المعنى تِبَعًا لاختلاف الحركة»[8].

وأولى الأعمال الناضجة في هذا الميدان (مثلثات قطرب) التي اهتمَّ فيها بإيراد الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات مع اختلاف معانيها، وهي مثلّثات قامت حولها شروح كثيرة كشرح "السّيوطي"، وحَدَت حَدْوَها مؤلّفات كثيرة إلاّ أنّ كل هذه المؤلّفات المثلّثية اقتصرت على دراسة الصّوائت القصيرة دون الطّويلة. أمّا في العصر الحديث فإنّ المكتبة العربية لا تخلو من الكتب والدّراسات التي تحاول أن ترسم مسارًا دلالياً للصّوائت سواء منها القصيرة أو الطويلة.

ثانيا: الدلالة الصوتية للصوائت القصارفي النص القرآني :

نحاول في ما يلي رصد بعض دلالات الصّوائت القصار في النص القرآني من خلال سورة مريم:

1- الإعراب والإبانة عن المعنى مقابل لزوم الرتبة:

قامت منذ القديم جهود في اللغة العربية حول الوظيفة الدّلالية للحركات، فأجمعت على أنّ حركات الأسماء تنبئ عن معانيها أن تغيّر أواخر الكلمات مرتبط بما يصيب معانيها من تغير، وقد رأى "ابن جني" أن حركات الإعراب دوال على المعاني، وبرهن على أنها تدخل في الكلام لأداء وظيفة أساسية في اللغة لتبيين و توضيح المعنى، يقول: «ألا ترى أنك إذا سمعتَ أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمتَ برفع أحدهما ونصب الأخر. الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً ستهم أحدهما من صاحبه»[9].

قدم الباحثون في العصر الحديث مجموعة من الدراسات حول دلالة الحركات، لا يتّسع المقام لذكرها، خلصت إلى أنّ«الجملة العربية جملة اختيارية التركيب، يجوز بدؤها بالاسم مثلما يجوز بدؤها بالفعل، وقد يجوز تقديم المفعول على الفعل و الفاعل، والخبر على المبتدأ، لذلك وجب ضبط المعاني بعلامات ترشد إلى المقصود، ولا يأتَّي ذلك في العربية إلا بحركات الإعراب، وفي هذا دليل على أنّ هذه الحركات دوال على المعان، فالرفع علم الفاعلية، و النصب علم المفعولية و الخفة، والجرّ علم الإضافة»[10].

وإن شئنا التخلّي عن الحركة الإعرابية في الكلام، لجأنا إلى الحلّ المقابل لها، والمتمثل في لزوم الرتبة، بحيث لا يتقدّم مفعول على فاعل، ولا خبر على المبتدأ....وواضح ما في هذا الحل من مشقة وتجميد لتراكيب اللُّغة العربية.

ولتباين دور الحركة الإعرابية في توضيح المعاني، نسوق الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى:﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾[11].

- اختلف القُرّاء في قراءة ﴿**قَوْلَ**﴾:«قرأ "الشَّامي"[12] و"عاصم" و"يعقوب" بنصب اللاّم والباقون برفعها»[13].

فأمّا القراءة بنصب اللاّم فتوقع﴿**قَوْلَ**﴾موقع المفعول المطلق مقدّر العامل، والأصل: أَقُولُ قَولَ الحَقِّ.

وأمّا القراء برفع اللاّم فتوقع ﴿**قَوْلُ**﴾موقع الخبر المرفوع للمبتدأ (ذلك).

2- قال تعالى: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً**﴾ [14].

قُرِئت ﴿**جَنَّاتِ**﴾ بالكَسْرِ عند جميع القُرَّاءِ، ما أبان عن معناها وأوضَحَ أنّها بَدلٌ ﴿للجنّة﴾ الواردة في الآية التي قبلها (المعربة مفعولاً به)، إذ في هذه الآية كان المراد الوصف والإبانة لهذه الجنة التي يدخلها من تاب وعمل صالحاً.

3- وقد يؤدّي تغيير حركة أحد أجزاء الجملة إلى تغيّر تام للمعنى المراد في الآية، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**﴾ [15]، إذ قرأها « نافع وحفص والأخوان وخلف وأبو جعفر بكسر الميم وجرّ التاء الثانية من تحتها، والباقون بفتح الميم ونصب تاء تحتها»[16] ، بمعنى أنّها قرئت : (مِنْ تَحْتِها) و (مَنْ تَحْتَها)، فحركة حرف الميم في (من) حوّلتها من أداةٍ جارّة (مِنْ) ، إلى اسم موصول في محل رفع فاعل، ويعود على النبي "عيسى" عليه السلام

والأمثلة من هذا السياق كثيرة، منها﴿ يرجعون﴾ في قوله تعالى: ﴿**إنّا نحن نرثُ الأرضَ ومَنْ عليها وإلينا يُرْجعون**﴾[17] ، التي قرئت بفتح الياء وكسر الجيم﴿ يَرجعون﴾ فيكون الفعل بذلك مبنيًّا للمعلوم، وبضم الياء وفتح الجيم﴿ يُرجعون﴾ فيكون الفعل مبنيًّا للمجهول، دالّا على قِوىَ إلاهية تجبرهم على الرّجوع إلى الله بعد استرجاع الأرض ومن عليها، وليس للإنسان تخيير في ذلك.

2- دور توالي الحركات في التدليل على المعنى وضبط الدلالة:

انتبه "سيبويه" إلى هذه الفكرة القيّمة، وأثنى عليها "ابن جني " في كتابه (الخصائص)، يقول:« وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنّها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو النقزان والغليان، والغثيان ،فقابلوا بتوالي حركات المثال، توالي حركات الأفعال»[18] .

وكأنّ العرب تحسّست في الأفعال تتابُعًا في الأداء والحركة، فعبّرت عنه بتوالي وتتابع صوتي للحركات، ليكون الصوت ممثّلا ومعبّرًا عن الفعل، وفي هذا نورد المثال التالي من سورة مريم:

قال تعالى:﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ۝ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً**﴾[19] .

يقسم تعالى في هذه الآية أن يجمع الكافرين وشياطينهم ويحشرهم جميعًا معًا جثيا حول جهنّم على ركبهم أذلاء صاغرين، ثم يأخذ من كل طائفة من تلك الطوائف أشدهم تمرّدًا على طاعة الله.

وتوحي الحركات المتتالية في هذه الآيات عن توالي حركات ومشاهد البعث والحشر والحساب والعقاب وسرعتها، وحتميتها حتّى لا يظن الكافرون بإمكانية الخلاص منها، والنجاة من حساب وعقاب الله تعالى، بل ليحسب الناس يومها لِسرعَة توالي الأحداث، أنّهم لم يلبثوا في الدنيا إلاّ عشية أو ضحاها.

3- دلالة الحركة على الجنس:

أُصْطُلِحَ في اللغة العربية، على جعل حركة الفتحة دالّةً على المذكّر في المخاطب، وحركة الكسرة دالّة على المؤنث، أي أُصطلح على استعمال الحركة في الدّلالة على الجنس، يقول تعالى مخاطباً النبي زكريّا:﴿ **قال كذلِكَ قَالَ رَبُّكَ هو عليَّ هيّنٌ**﴾[20]، فالفتحة الظاهرة على كاف كذلك دالّة على الجنس المذكّر، فيما تدلّ الكسرة الظاهرة على كاف كذلك على الجنس المؤنث في خطاب الرسول لمريم عليها السّلام: ﴿**قالَ كذلِكِ قال ربُّكِ هو عليَّ هيّنٌ**﴾[21].

4- تغيّر الدّلالة لتغيّر الحركة:

تؤدّي حركات البنية دورًا كبيرًا في تحديد معاني كثير من الأسماء؛ إذ يحدث أن تتشابه كلمتين أو أكثر في نوع الصّوامت وعددها وترتيبها لكنها تختلف من الناحية الدّلالية، لاختلاف حركات الصّوامت، وسنورد فيما يلي بعض الأمثلة الموضّحة:

1- قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً**﴾[22].

يستثني الله تعالى في هذه الآية التائبين، من الخلف السّيئ الذي خلف الأنبياء الصالحين، المؤمنين العاملين صالحًا أنهم يدخلون الجنّة جزاء توبتهم وإيمانهم ، ولا يُنْقَص من عملهم شيءٌ.

الجَنَّةُ: بفتح الجيم، الحديقة ذات النخل والشجر، وجمعها جنان .

الجِنّة: بكسر الجيم، طائفة من الجن، ومنها الجنون.

الجُنّة: ما يستتر به ،ومنه الولد في البطن أجنّته الحامل أي سترته في بطنها.

2- قال تعالى: ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** ﴾[23].

هذه الآية على لسان قوم "مريم" يوبّخونها ويرمونها بالزّنا، بعد أن عادت إليهم تحمل النبي "عيسى"-عليه السلام- بين يديها، فما كان أبوها رجُلاً يأتي الفواحش، ولا كانت أمها امرأةً زانية، بل إنها، "مريم"، ابنة البيت الطّاهر والأسرة الشريفة.

البَغِيُّ و البَغُوُّ: الأَمَةُ، أو الحُرّة الفاجرة.

البَغْيُ: العُلُو، والظلم، والعدول عن الحق، ومنه البَغْيُ: الكثير من المطر.

وهنا تجدر الإشارة إلى المغالطة التي وقع فيها بعض الدارسين الذين اعتبروا أنّ الحذف واقع في فاصلة الآية ﴿وما كانت أمُّك بغيًّا﴾، فالأصل فيها، كما رأوا((بَغِيَّةً)) وحُذِفت منها تاء التأنيث رعَايَةً للبعد الصّوتي في فواصل السورة[24] .

والخطأ واقع في أنّ البَغِيّة : ما ابْتُغِيَ، والبُغْيَةُ كالبِغْيَة : الضالّة المبغية ، وكُلُّها من الفِعل بَغِيَ، وبَغَيْتُهُ: طَلَبْتُهُ.

أمّا المقصود في الآية الكريمة فهو البَغِيُّ، وبَغَت الآمة: عَهَرَت ، والله أعلم..

3- قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾[25].

يُخْبِر تعالى في هذه الآية أنّه سيجعل للمؤمنين، العاملين الصالحات، محبّةً ووُدًّا في قلوب أهل الإيمان.

الوِدُّ والوِداد: الحبُّ.

الوُدُّ: المُحِبُّ.

الوَدُّ: مصدر وَدِدتُ، وهو يودُّ من الأمنية.

ووَدٌّ: صنم كان يَعْبُدُه قومُ نوحٍ، قال تعالى: ﴿**وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنّ وُدًّا ولا سُواعا ولا يَغُوثَ ويعوقَ ونَسْرًا**﴾[26] .

4- قال تعالى: ﴿**ونَسُوقُ المُجرِمِينَ إِلَى جَهَنَّم وِرْداً**﴾[27].

في هذه الآية ،مشهد من مشاهد يوم القيامة حين يُساقُ المجرمون على أنفسهم بالمعاصي والذنوب، مشاة على أرجلهم ،يُساقُونَ سَوْقَ البهائم إلى جهنّم .

الوِرْدُ: القوم يردونَ المَـاءَ، فعله: ورَدَ.

الوِرْدُ: النّصيب من قراءة القرآن.

الوَرْدُ: اِسم نَوْرٍ ،ووردت الشجرة أي خرج نورُها .

الوَرْدُ: النّصيب من قراءة القرآن.

5-قال تعالى:﴿**وَ أَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُوَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[28]

يأمر تعالى نبيَّه الكريم أن يندر الكفّار والمشركين من عاقبة ما يفعلون في يومٍ تشتدّ فيه الحسرة وتعظم الندامة ،وأن يفيقهم من غفلتهم التي تمادوا فيها .

الغَفْلَـة: مؤنّثا لغَفَل: وهو التَّرك والسَّهْوُ .

الغُفْلَـةُ :مؤنث الغُفْل ؛ من لا يُرْجي خيره ، ولا يُخْشي شَرُّه، وما لا علامة فيه.

6-قال تعالى: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ هل تُحِسُّ منهم من أحَدٍ أو تسمَعُ لهم رِكزا**﴾.[29]

يذكر الله تعالى في هذه الآية الأخيرة من سورة مريم كيف أهلك القرون السابقة التي كذّبت المرسلين وحاربت دعوتهم ؛فهل ترى أَحَداً منهم بعينيك أو تسمعُ لَهُمْ صَوْتاً وَلَوْ خَفيفاً، والاستفهام هنا إنكاري.

الرِّكْزُ: الصوتُ الخفيُّ من بعيدٍ.

الرَّكْزُ: الرّجل العالمُ العاقِلُ السخيُّ، الكريم .

الرَّكْزُ: غرسُ الشيء منتصِباً كالرُّمح .

وتجدر الإشارة في النهاية ،إلى أنّ هناك أسماء في اللُّغة العربية لا تختلف دلالتها،وإن اختلفت حركة أحد حروفها، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿**لقد جئتم شيئا إِدًّا**﴾.

فالأَدُّ، والإِدُّ، والآدُّ :العجَبُ ،والأمر الفظيع والدّاهية والمنكر ،والغلبة والقوّة.

5- الدلالة الاجتماعية للحركات:

تنطوي تحت اللغة العربية ، كغيرها من اللغات ، العديد من اللهجات التي تمثل بيئات لغوية مختلفة، إذ أنَّ لكل بيئة صفات لغوية تختصّ بها، إلّا أنّها تنتمي جميعها إلى لغة عامة مشتركة في لغة التفاهم والتخاطب الرسمية بين أفراد هذه البيئات كُلّها، واللّهجة «مجموعة من الصِّفات الصوتية، أو البنائية، أو النحوية التي تنتمي إلى بيئة لغوية اِجتماعية خاصّة،بحيث يشترك في هذه الصِّفات جميع أفراد البيئة الخاصّة بهذه اللّهجة».[30]

والمتفق عليه أن:

1- معظم هذه الصّفات اللهجية، تتجاوز الأشكال إلى المضامين؛ أي تتجاوز الأداء الصوتي والخطي إلى الدّلالي.

2-هذه الصّفات اللهجية انعكاس لخلفيات الناطقين بها من الناحية الاجتماعية أو الثقافية....

وقد أدَّى الاختلاف اللهجي في اللغة العربية إلى ظهور القراءات القرآنية ،وهي«اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف و كيفياتها من تخفيف وتشديد وغيرها، ولابدّ من التلقّي والمشافهة ،لأنّ القراءات القرآنية أشياء لا تُحَكمُ إلاَّ بالسّماع والمشافهة»[31] ، وقد حصلت هذه القراءات على الشرعية في الأخذ بها باعتبارها وجوه أدائية (صوتية، بنائية، نحوية) في قراءة القرآن الكريم.

وإذا حصرنا كلامنا في اختلاف القراءات على الجانب الصوتي، فإننا نشير فيما سيأتي إلى أهم الظواهر الصوتية التي تصيب بعض كلمات القرآن الكريم باختلاف القراءات:

1- التغيّر الذي يطرأ على أحد أصوات الكلمة، سواء بالإبدال أو بالتغيير إلى صوت يختلف عنه تماماً.

2- التغيّر في بعض الحركات التي تكون على حروف الكلمة مِمّا هو خارج الإعراب.

3- اختلافات لهجية صوتية، كالتفخيم، والترقيق، والإظهار و الإدغام؛ و.....[32].

ولمّا كان للبيئة الاجتماعية الأثر الكبير في تشكل هذه اللهجات ،صارت هذه الأخيرة دالة على الأولى. وفي الدلالة الاجتماعية للتغيرات الصوتية نقصر كلامنا على التغير في الحركات ونورد الأمـثلة الآتية:

1- قال تعالى على لسان بنيه زكرياّ:﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾[33].

وفيها يتعجّب النبي "زكريا" عليه السلام،وهو يدري أن قدرة الله عظيمة ،كيف يأتيه الولد وزوجته امرأة عجوز عاقر ،وأنّه بلغ من العمر ما أفنى قوّته وأضعف عظمه ،وهو ماعبّر عنه النص القرآني بالعتيّ.

وقد اِختلفت القراءات القرآنية في عين (عتي) ،إذ كسرها حفصْ[34]﴿**عِتِيًّا**﴾. وضمّها الأخوان "حمزة الكوفي" و "الكسائي الكوفي" [35]﴿**عُتِيًّا**﴾.

وجاء في (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم)لأبي عبيد القاسم بن سَلاّم(157-224)هـ أن (عِتِيًّا) هي :

- التحول بلغة حمير.
- الأمر العظيم بلغة قريش.

أمّا في المعاجم فقد جاء أنّ العِتِيّ و العُتِيّ و العَتِيّ ذات معنى واحد في اللغة ، وفعله" عُتِيًّا وعِتِيًّا و عَتِيًّا: استكبر، وجاوز الحدّ"[36].

2- قال تعالى: ﴿**فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**﴾[37].

جاءت هذه الآية في سياق حديثه تعالى عن الطّاهرة "مريم" حين حملت بـ"عيسى" من غير زوج وضاقت بها السّبل أمام عيون وكلام الناس الذين رموها بالزنا والفاحشة، وجاءها المخاض وآلام الولادة فاشتدت الدنيا بها ضيقًّا فتمنت الموت، وتمنت أن تكون شيئًا متروكًا لا يذكر ولا يعرف ، وهو ما عبّر عنه النص القرآني بـ(نسيًا).

اِختلفت القراءات في حركة نون ﴿نسيًا﴾فقرأَهَا «"حفص" و"حمزة الكسائِي" بفتح النون، وغيرهما بكسرِها»[38]، أي ﴿نَسْيًا﴾

﴿نِسْيًا﴾ وكلاهما من الفعل نسيَ، و« النّسي، بالكسر ويفتح ، ما نُسِيَ، وما تلقيه المرأة من خَرَقِ اعتلالها»[39] . وقال "الأصفهاني" في هذه الآية «أي جاريًا مجرى النسّي القليل الاعتداد به وإن لم يُنْسَ ولهذا عقّبَه بقوله منسيًّا لأنّ النّسي قد يُقال لما يَقِلُّ الاعتداد به، وإن لم ينس ، وقُرِئَ نِسِيًّا وهو مصدرٌ موضوع موضعَ المفعول»[40] .

خاتمة:

حاول هذا البحث أن يسلط الضّوء حول القيم الدلالية التي تستطيع الصوائت القصار أن تقدّمها، وتمثيلها المدى الذي يمكن أن يتعالق من خلاله المستويان: الصّوتي والدّلالي. وتماشيًا مع هذا الهدف أسجّل أهم النتائج التي أستطاع هذا البحث القصير التأكيد عليها:

1/ قضية التعالق الصّوتي الدّلالي قضية انتبه المتقدمون إليها، وعمل المحدثون على ترسيخ معالمها ، وهي قضية تفرض نفسها، ولا تترك مجالاً لإنكارها.

2/ علاقة الصّوائت بالدّلالة تتمّ في المستوى التركيبي(مستوى الأصوات المفردة والمركبة).

3/ تلعب الصّوائت، عدًّا عن تسهيلها للنطق، دورًا أساسيًا للتفريق بين المعاني والتدقيق فيها وقد أنتبه القُدامى في أهميّتها وأولوها اهتماما بالغًا في تناول الظاهرة الإعرابية.

4/ اختلفت القراءات القرآنية في حَركات بعض الألفاظ للقرآن الكريم ممّا أدىّ إلى اختلاف دلالة هذه الألفاظ في معظم الأحيان.

المصادر و المراجع:

المعاجم:

1. الحسين بن محمد (الراغب) الأصفهاني،**معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 2009م.
2. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح أنس محمد الشامي، دار الحديث القاهرة، د.ط، 2008م.

المصادر:

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
2. ابن الجزري، **التمهيد في علم التجويد** ، محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، تحقيق فارس بن فتحي بن ابراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006.
3. أبو الفتح عثمان ابن جني، **الخصائص**، تح محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، (دت)، ج2.
4. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** ، تح محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث ، القاهرة،2008م.

المراجع:

1. رجب عبد الجواد إبراهيم،**موسيقى اللغة** ، دار الآفاق العربية ، دط ، 2003م.
2. صالح سليم عبد القادر الفاخري، **الدلالة الصوتية في اللغة العربية**، مؤسسة الثقافة الجامعية، (دت).
3. عبد الفتاح القاضي، **البذور الزّاهرة** ، مكتبة أنس بن مالك، مكة، ط1، 2002م.
4. غانم قدّوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2003م.
5. كمال بشر، **علم الأصوات** ، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000 م.
6. محمد محمد داوود، **الصّوائت و المعنى في العربية** ، دار غريب، القاهرة، 2000م.

7. مصطفى حركات، **الصوتيات والفونولوجيا**، دار الأفاق، الجزائر، دت.

8. هادي نهر، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية** ،عالم الكتب الحديث ،ط1، الأردن، 2008م .

---

(1) ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، دت، ج2، ص: 322.

(2) ابن الجزري، **التمهيد في علم التجويد** ،تح: فارس بن فتحي بن ابراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006، ص: 30 .

(3) نفسه ، ص: 31.

(4) ابن جني، الخصائص، ج2، ص:315 .

(5) مصطفى حركات، **الصوتيات والفونولوجيا**، ، دار الأفاق، الجزائر، د.ت، ص: 49

(6) غانم قدّوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2003، ص: 426.

(7) كمال بشر، **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000، ص: 426، 427.

(8) محمد محمد داوود، **الصّوائت والمعنى في العربية**، دار غريب، القاهرة، 2000، ص:20.

(9) ابن جني، **الخصائص**، ج1،ص:35.

(10) صالح سليم عبد القادر الفاخري، **الدلالة الصوتية في اللغة العربية**، ، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص:78.

(11) مريم/ 34.

(12) الشامي هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق ،أحد القرّاء العشرة (ت 154)هـ

(13) عبد الفتاح القاضي، **البذور الزّاهرة** ، مكتبة أنس بن مالك، مكة، ط1، 2002، ص:247.

(14) مريم/ 61.

(15) مريم /24.

(16) عبد الفتاح القاضي،**البذور الزاهرة**، ص: 248.

(17) مريم / 40.

(18) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص: 152.

(19) مريم/68،69 .

(20) مريم/09

(21) مريم/21

(22)مريم/60

(23)مريم/28.

(24) ينظر ، رجب عبد الجواد إبراهيم، **موسيقى اللغة** ،دار الآفاق العربية ، دط ، 2003، ص:31.

(25)مريم/96.

(26)نوح/23.

(27)مريم/76.

(28)مريم/39.

(29)مريم/ 98.

(30)هادي نهر، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية**، عالم الكتب الحديث ،ط1، الأردن، 2008م ،ص:23.

(31)الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، (دط)، (دت)، ج1،ص:365.

(32)ينظر: هادي نهر، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية**، ص:55.

(33) مريم/ 08.

(34)أحد راويي عاصم، وهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي . ويكنّي أبا عمرو، وكان ثقة، (ت 180ه

(35)حمزة الكوفي هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيّات(ت 156ه) أمّا الكسائي الكوفي هو علي بن حمزة النحوي ،(ت 189ه).

(36)الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح أنس محمد الشامي ، دار الحديث القاهرة، د.ط، 2008، مادة عتو، ص :1050.

(37)مريم/ 23.

(38)عبد الفتاح القاضي، **البذور الزّاهرة**، ص:247.

(39)الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة نسي ، ص:1606 .

(40)الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 2009، مادة نسي، ص:372.

Intihaa Journal

ISSN:2992-1546المجلد (01) العدد(02)(2024): رقم صفحة البداية 86– رقم نهاية الصفحة104

الــرحــلات الــشــعــريــةماهيتها وأهم خصائصها

Poetic Excursions
Its concept and most important characteristics

هند تمار

hind.temmar@ens-ouargla.dz

مخبر الوسائط التعليمية- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

تاريخ الاستلام 2024/10/30 تاريخ القبول:2024/11/30 تاريخ النشر:2024/12/07

ملخص:

الرحلة فن قائم بذاته، فن فضفاض يتميز بمرونة عالية وقدرة كبيرة على التلون والاختلاف؛ حسب مقتضى كل فرد وعصره وبيئته، إضافة لدافع رحلته والذي له سلطة مباشرة على المضمون؛ ذلك أن الخطاب الرحلي يأخذ مضمونه من دافع الرحلة، ويقوم الخطاب الرحلي على إعادة تشكيل مجموعة من الأحداث الواقعية، من خلال نمطين؛ السرد والوصف، حيث يرتبط السرد بفعل الزمن المحدد بفعل ماض، بينما يرتبط الوصف بالمكان وبينهما علاقة تدرج في صيغ الحكي.

ولأن الخطاب الرحلي قابل للانفتاح والتنوع، يتوافق واختلاف الرحالين، ومشاربهم ومجالات اهتمامهم، وأساليب تعابيرهم؛ فقد كتب وفق نمطي الكتابة؛ نثرا وشعرًا؛ ولهذا فقد عرف التراث الرحلي رحلات شعرية خالصة، ونحن في هذه الدراسة نسعى للكشف عن ماهية الرحلات الشعرية وأهم مميزاتها، معتمدين على مجموعة من الأدوات الإجرائية منها؛

الوصف والاستقراء والتحليل، حيث نحاول أن نبرز أهم خصائص الرحلات الشعرية سعيا منا لتسليط الضوء على هذا النوع المغمور من الرحلات، ولخلق استراتيجية تساعدنا في دراستها واستثمارها في واقعنا.

الكلمات المفتاحية:فن الرحلة، الرحلات الشعرية، القصيدة، السرد، الوصف، الروي والقافية.

Abstract

The journey is an art in itself, a flexible and expansive art that is highly adaptable and capable of changing and varying according to the individual, their era, and environment. It is also influenced by the motivation behind the journey, which directly impacts its content. This is because the travel narrative derives its substance from the journey's motive. The travel discourse is based on reshaping a set of real events through two patterns: narration and description. Narration is associated with a specific timeframe defined by past actions, while description is connected to place, and between them, there is a relationship of progression in narrative forms.

Because the travel discourse is open and diverse, it aligns with the differences between travelers, their perspectives, interests, and expression styles, and thus it has been written in two forms: prose and poetry. As a result, the travel heritage includes purely poetic journeys. In this study, we aim to uncover the nature of poetic journeys and their most significant features, relying on a set of methodological tools such as description, induction, and analysis. We seek to highlight the main characteristics of poetic journeys in order to shed light on this often-overlooked genre of travel writing and to create a strategy that helps us study and utilize it in our reality.

Keywords: art of travel, poetic journeys, poetry, narration, description, rhyme, and meter.

1- .مقدمة

تقف الرحلة في مواطن كثيرة على أنها مستقلة بشخصيتها الأدبية، ومن المعلوم أن العمل الفني الذي يحمل الرحلة موضوعا؛ قائم على خطاب ونص يجليان حدثا أو موضوعا يتعلق بحكاية أو سفر؛ حيث تتميز بخصائصها، وهذا ما يجعلها جسدا معترفا به في عرف الثقافة العربية؛ حيث يقوم الخطاب الرحلي على إعادة تشكيل مجموعة من الأحداث الواقعية، من خلال نمطين؛ السرد والوصف، حيث يرتبط السرد بفعل الزمن المحدد بفعل ماض، بينما يرتبط الوصف بالمكان وبينهما علاقة تدرج في صيغ الحكي.

وأدب الرحلة فن من الفنون التي يسعى الرحال من خلاله إلى نقل أحداث رحلته وتسجيل انطباعاته، وما رآه من عادات وسلوكات عن أحوال البلدان الأخرى؛ وهذا ما جعله جنسا أدبيا له من الصفات والخصائص ما يميزه عن الأجناس الأدبية الأخرى، حيث يجمع بين الإفادة والإمتاع، ويعتبر النص الرحلي بنية تستوعب جل الأشكال والمضامين فيمتزج فيه الفصيح بالعامي، والعلمي بالأدبي، والسردي والوصفي؛ ولهذا فإن النص الرحلي لا يخلو من جملة من العناصر وان لم تتوفر جميعها، فكل نص يقتبس متطلباته من هذه العناصر وفق الرحلة والرحال « ثم تجيء مدونة بأسلوب يغلب عليها الطابع المحدد للرحلة حيث تتخذ صفة الرحلة انطلاقا من اعتمادها على مجموعة من المكونات والعناصر، وفق صياغات أدبية وفنية وجمالية»[1]

ولهذا فقد عرف الخطاب الرحلي القابل للانفتاح والتنوع شكلين من الكتابة؛ نثرا وشعرا، فقد احتوى التراث الرحلي رحلات شعرية خالصة؛ **والرحلات الشعرية** هي رحلات عمد مؤلفوها إلى سردها ونظمها شعرا ووصف كل ما لاقوه فيها بدءاً من لحظة الانطلاق وحتى الوصول في قصيدة مطولة خاصة بالرحلة.

وبهذا فقد عُنون المقال "**بالرحلات الشعرية، ماهيتها وأهم خصائصها** "، حيث نطرح في هذا البحث إشكالية رئيسية مفادها؛ "ما أبرز خصائص الرحلات الشعرية؟

وتنضوي تحت هذه الإشكالية فرضيات عديدة نذكر منها؛

- تتشارك الرحلات الشعرية في كثير من السمات التي تشكل هويتها، وتبرز تفردها عن النثرية.

- وجود اختلاف تام بين الرحلة النثرية المعروفة والشعرية المغمورة.

- اختلاف المضامين بين الرحلتين الشعرية والنثرية.

-ولهذا الموضوع أهمية بالغة كونه يرفع اللثام عن شكل من أشكال الخطاب الرحلي والذي نلمس أن جل الدارسين له يتناولونه بكونه خطابا نثريا دون إشارة للقصائد الرحلية.

2– مفهوم الرحلة الشعرية

والرحلة فن فضفاض قائم بذاته، يتميز بمرونة عالية وقدرة كبيرة على التلون والاختلاف حسب مقتضى كل فرد، أو عصره وبيئته، إضافة لدافع رحلته والذي له سلطة مباشرة على مضمون الخطاب الرحلي، «فشرط الواقعية من أهم ما يميز أدب الرحلات عن غيره من الأنواع الأدبية، والرحلة الواقعية معناها أنها حدثت بالفعل»[2]، فهي حقيقة بكل تفاصيلها؛ ولا يعني خلوها التام من الخيال، فهي عمل فني وبذلك لابد أن تمتزج بالخيال إلا أن دوره يكون ضئيلا فيها وله وظائف محددة .

ولئن آثر جل الرحالين استخدام النثر في وصف رحلاتهم «لما له من مميزات لا تتوافر لنظيره الشعر، ورغم أن الشاعر قد يصف رحله أحياناً، فإن عمله يكون عارضاً، وربما خياليا، إن النثر يتيح للرحال حرية الوصف والحركة دون قيود أو معيقات، لذا فإن استخدامه يصبح مبررًا بل ضروريا، كما أن النثر أداة تواصل بين الشعوب عكس الشعر الذي يفقد أهم خصائص حين يترجم ... قيمة النثر في الأفكار التي يحملها، وقيمة الشعر في كيفية أدائه»[3]، وفي مقابل هذا فقد اعتمد عدد من الرحالين الشعر وسيلة للتعبير عن رحلاتهم.

3– نشأة الرحلة الشعرية

ونشير إلى القصيدة الجاهلية وكذا قصائد العصرين الأموي والعباسي التي تضمّنت رحلات قائمة في سياقها الشعري؛ حيث وردت في ثنايا القصائد الجاهلية المركبة كامتداد للمقدمة الطللية، فقد كانت الرحلة من أهم الأسس الفنية في بناء القصيدة (المقدمة الطللية، وصف الرحلة...)، ثم انفرد هذا الغرض في قصائد خاصة به؛ فقد عمد الرحالون إلى تدوين رحلاتهم شعرا في قصائد مستقلة تحمل الرحلة موضوعا.

ويزخر التراث العربي بمجموعة من الرحلات الشعرية؛ فقد دوّن «أحد الملاحين المعروف **بماجد** تجاربه البحرية في مصنف ضخم سماه "الأرجوزة الحجازية" ضمّ أكثر من ألف (1000) بيت، وصف فيها الملاحة على سواحل البحر في القرن التاسع الهجري»[4]، وهناك أيضا «قصيدة في وصف الحج باللغة الاسبانية بحروف عربية لأحد الموريسكيين عثر عليها مخطوطة باسبانيا أواخر القرن السادس عشر (16) وهي بعنوان قصيدة الحاج القادم من بوي مونشون»[5].

وتكتب الرحلات الشعرية على شكلين؛ إما **بشعر فصيح أو بشعر ملحون**؛ حيث تدون على شكل قصيدة عمودية «ومما كتب بالفصيح قصيدة **محمد بن منصور العامري التلمساني**[6] التي فرغ منها سنة 1152م، وهي قصيدة همزية متوسطة الجودة وصف فيها مراحل رحلته من مدينة **تازة** حيث يقيم إلى **الحرمين الشريفين** ثم منهما إلى الشام والقصيدة تبدأ على النحو التالي:

أزمع السير إذا دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء»[7]

كما نظم «**عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي**[8] رحلته من **مجاجة** إلى **مكة المكرمة** في قصيدة مطولة سنة 1063 وهي تبدأ على النحو التالي:

نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد جبالا وأوعارا وأرضا وطية

وقد أخبر المجاجي فيها أن التقى بالشيخ علي الأجهوري بمصر، وزار في الإسكندرية قبر أبي العباس أحمد المرسي وقبر ابن الحاجب»[9]، ومن الرحلات الشعرية المكتوبة بالفصحى نجد أيضا؛ رحلة **القطب أطفيش**[10]المعنونة**بالقصيدة الحجازية**[11]، والمنظومة في شكل قصيدة مطولة ضمّت مئتين واثنين وثلاثين (232) بيتاً وفق بحر الطويل وروي الهمزة، كما نجد أيضا قصيدة **الوارجلاني**[12]والمعنونة (بالقصيدة الحجازية أو رحلة الوارجلاني)[13] هي رحلة دينية حجية والتي يقول في مطلعها:

عذيري عذيري من ذوات المعاجز ذوات العيون النجل بيض المحاجر

ذوات الشفاه اللعس بالظلم واللما غرائر خرق الصنع سود الغدائر

ثم يقول في البيت الخامس منها :

خرجنا نؤم الشرق من حيز وارجلان بفتيان صدق من وجوه العشائر
جريونجوّابون كلّ تنوفة يحار بها هادي القطا المتصادر

أما في الشعر الشعبي الجزائري فقد احتل شعر الرحلة مكانة متقدمة عن الأغراض الأخرى بحيث نظم فيه الكثير من فحول الشعر الشعبي من أمثال بن سهلة، والمنداسي، وبن المسائب، ويسمى في الشعر الشعبي أو الملحون الجزائري **بالقطاعة** وهو استقلال لغرض الرحلة في القصيدة الجاهلية وهو الشعر الذي يصف منتجات الأحباب ومكان مصيفهم ومشتاهم وإنما سمي **قطاعة** من قولهم **"المقطع"** أي المكان الذي يقطعون فيه مسار الترحال لاختصار المسافة.

«ولنذكر من الشعر الملحون قصيدة **محمد بن مسايب التلمساني**[14] في القرن الثاني عشر فقد نظم قصيدة قص فيها رحلته من تلمسان إلى مكنة المكرمة عبر مدن وقرى الجزائر من غربها إلى شرقها مارا بالطريق التقليدي الذي كان يسلكه حجاج الغرب (مليانة فالبليدة فمدينة الجزائر فمجانة فقصر الطير فقسنطينة فالكاف، ثم تونس) وقد قام ابن مسائب برحلة برية مر فيها بعد المدن المذكورة بطرابلس ومصر، بينما كان اللذين يأخذون طريق البحر يركبون من تونس وينزلون في الإسكندرية (القصيدة موجدة في المجلة الإفريقية 190، 259-282 محمد بن أبي شنب)،

«يا الورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها

وتبدأ رحلة بن سائب الشعرية بهذا الطالع:

يا الورشان أقصد طيبة زر فاقد مرسم شيبا
لا تخمم في أمر الغيبة ولا تحدث نفسك بها»[15]

ولابن المسائب رفيقان في هذا الفن هما: **ابن التريكي**[16]، والزناقي فكلاهما رحل مثله من تلمسان إلى مكة وكلاهما كتب مثله رحلته شعرا ملحونا»[17].

4– خصائص الرحلة الشعرية

عُدَّ الشعر بنية هامة استند إليها الرحال للقائه بالمتلقي وسرد رحلته بما تحمله من فنون ومعارف وما تنطوي عليه من عوامل نفسية وفنية؛ لما للشعر من جمال فني وقوة في التعبير وقدرة على تمرير الرسائل المختلفة ولهذا فقد تميزت الرحلات الشعرية بجملة من الخصائص منها:

1- العنوان:

يشكل العنوان صورة مصغرة وعلامة دالة على النص؛ فهو يحيل إلى موضوعه وهدفه، حيث يعد علامة مميزة له، و ردءاً للالتباس مع نصوص أخرى؛ فكل دراسة للخطاب الرحلي أو غيره لابد أن تنطلق من العنوان «باعتباره العتبة الأولى التي تحاور المتلقي وتشير إلى جنس المؤلف خصوصاً وأن عنونة كل شكل تعبيري تشكل مدونة تضم بوحاً بجنس ذلك الشكل وتختزن مقصدية المؤلف وإدراكه للكتابة التي حررها كما تضم نداءً للقارئ ومرشداً له في آن»[18].

ولا يخلو نص رحلي من عنوان، يدل على اتجاهه أو مضمونه ولهذا فإن العنوان يشكل «شبكة متجذرة في قطبين: الأول لغوي يجسده النص ودلالته، والثاني نفسي تأويلي للمؤلف»[19]، ومن ذلك تتأسس الرحلات عبر عناوينها الموحية لما هو بين النص وعنوانه، ويعد«العنوان في الرحلة علامة إخبارية تقدم تلميحاً لمضمون المؤلف في جملة أو جمل متعددة مرتبطة فيما بينها»، ولهذا يعد عنوان الخطاب الرحلي رمزاً يحدد هويته عبر جملة من المكونات المنضوية تحت لوائه والتي تنطلق أساساً من فعل السفر والارتحال.

إن المميز لعنوان الرحلة الشعرية دلالته الصريحة والقاطعة على كتابة مضمونه شعراً، كما يتميز أيضا ببساطته واحتوائه في جل الرحلات الشعرية على كلمتين؛ الأولى من صميم الشعر والثانية من أنواعه والثانية باسم المكان المنتقل والمتوجه إليه، كرحلة القطب أطفيش المعنونة باسم "**القصيدة الحجازية**" والتي وضع لها المحقق عنواناً بديلا تمثل في "رحلة القطب"، ورحلة الوارجلاني الموضوعة تحت عنوان "القصيدة الحجازية" أيضا، ومن الرحلات الشعرية كذلك؛ "الأرجوزة الحجازية (رحلة أحد الملاحين المعروف بماجد)، ولهذا فإن الدارس للرحلة الشعرية يستشف مضمونها، وأسلوب وآلية كتابتها.

2- مقدمة الرحلة: (خطاب التقديم أو الاستهلال)

يمثل خطاب التقديم في النصوص الرحلية عنصرا بنائيا وضرورة واجبة فهي في هذا النوع ذات أهمية كبيرة؛ لأنها «ستكون بمثابة مفتاح أو كشاف الرحلة الذي يفتح وينير مغالقها للقارئ»[20] ؛ حيث يتشكل من عناصر تمهيدية وأسس متعلقة بالرحلة.

وخطاب التقديم يتضمن عناصر تعمل على تأطير النص وإضاءة بعض جوانبه ومساراته لفهم قضايا مرتبطة بالكتابة في الرحلة؛ ولهذا فإن القارئ يتخذ من المقدمة إطارا لموضوعها ليتسنى له التعرف على نموذج الأسلوب وبراعة الرحال التي يشحن فيها قلمه في بداية العملية الإبداعية.

وتعد المقدمة أو المطلع في الخطاب الشعري فهي مختلفة تماما؛ حيث يكتفي الرحالون فيها بحمد الله تعلى ثم ذكر دفع الرحلة ألا وهو أداء مناسك الحج، ذلك أن جلها حجازية حجية، ويرفق الدافع فيها كم يسجلون عواطفهم المتأججة ببيان عظيم شوق الرحال لأداء مناسك الحج وزيارة الرسول الحبيب ﷺ والمدينة ولتبرك بترابها وهوائها هذا وقد ذكر بعضهم يوم وزمن الخروج والانطلاق في الرحلة دون ذكر مفصل للشهر أو السنة، يقول فيها:

«هجرنا مسقط الرؤوس وما نرى سوى الحج إنّ الحج قد حان أن يرى

وغير اعتمار والزيارة للنبي عليه الصلاة والسلام زها الثَّرى

فلله حمدٌ حمد فإن لذي البقا وحمد فقير للغني عن الورى

خرجنا بضحوة الخميس بمثل ما +خميس، ونحن في خلاء عن المِرَا»[21]

كما تتسم الرحلات الشعرية بوصفها الأحاسيس الدينية والروحية أثر منها في الشعرية، وقد افتتح محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني، رحلته لحجازية الحجية بقوله:

«أزمع السير إن دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء»[22]

وأما الرحلات الشعرية من الشعر الملحون نجد رحلة محمد بن مسائب التلمساني التي كتبها في قصيدة بعنوان "يا الورشان" ويقول في مطلعه:

«يا الورشان أقصد طيبا زر فاقد مرسم شيبا

لا تختصم في أمر الغيبا ولا تحدث نفسك بها»

يا الورشان أعزم بمشيك إتكل على الله وعليك

ذا الوصاية نوصيك خذها وتهلا فيها

نرسلك من باب تلمسان سر في حفظ الله والأمان»[23]

وتتعدد صيغ المقدمات وفق الدوافع والموضوعات، ومن هنا «أعتبر التقديم في النصوص الرحلية ضرورة واجبة أكثر منها في الأشكال الأخرى نظرا لطبيعة النص الذي يحتاج إلى تقديم بعض المعلومات والإيضاحات حول الرحلة أحيانا لتبريرات معينة»[24].

ولا تزيد المقدمة الشعرية عن الأربع أو الخمسة أبيات ليبدأ مباشرة في مكان انطلاق الرحلة، وفي كل الأحوال تبقى المقدمة في الخطاب الشعري أو النثري «مرشدة فحسب، ولذلك يستحسن أن تكون قصيرة لأن القارئ يكون متشوقا لمعرفة تفاصيل الرحلة»[25]، فهي دليل يفتح الباب أمام القارئ ويتركه في متعة الكشف عن مجاهيل النص، ويختلف الاستهلال وفقا لدوافع الرحلة وبهذا تمتاز الرحلات بصيغ استهلالية عديدة ومتنوعة بحسب ضروب الرحالين ومشاربهم.

3- التنوع والشمول:

وهي ميزة تخص الرحلة عموما؛ وهذان الملمحان يميزان جلّ ما دوّن وحرر في أدب الرحلة ذلك أن الخطاب الرحلي «بنية تتضمن نصيصات وبنيات متعايشة تلتقط عناصر وأشكالا أخرى في بنائها العام»[26]، فهو غني بشموله؛ ذلك أنه حوى كل التخصصات في شتى مجالات الحياة؛ من تاريخ وجغرافيا ودين وسياسة واجتماع، بل حتى علم الفيزيائية والرياضيات؛ فقد تحرّى الرحالون النقل الصادق والتصوير الأمين والوصف الدقيق بموضوعية.

كما تنوعت مضامين الرحلات، لما تزخر به من مواد علمية تارة وثقافة شعبية تارة أخرى، واقعية أوأسطورية؛ لتحقيق الفائدة والمتعة للمتلقي، فقد حرص الرحالون على الإخبار عن أهم أعلام المجتمع، وعن عاداته وطبائعه، ومدنه وبلدانه، وطرقه ومسالكه بشتى الأساليب الفنية والأجناس الأدبية المنصهرة والمتمازجة ضمن نسيجها الشعري؛ وهذا ما حفّز القصيدة الرحلية على استثمار معطيات الأجناس الأخرى، فلطالما زاوجت

وصاهرت بين الصوت الشعري والصوت النثري الممثل في الأجناس الأدبية الأخرى والعلوم المختلفة مما جعل خطاب الرحلة الشعرية خطابا فسيفسائيا متنوعا وشاملا.

وعليه فقد استوعبت القصيدة الرحلية أنماط الكتابة الأخرى حتى غدت جنسا مختلطا ومزيجا متجانسا من هذه الأنماط، حيث تعود الهيمنة فيه دائما للصوت الشعري دون أن يفقد هويته المائزة التي تجعله يندرج ضمن الشعر.

4- جلها رحلات حجازية(حجية):

ظل الحجاز وما يزال مهوى لأفئدة المسلمين ومقصدا لرحالهم؛ فعكفوا على تدوين أخبارهم ووصف مشاهداتهم بصدق وعفوية؛ فعدت مؤلفاتهم من أمتع وأكثر الكتب استهواء، وبخاصة الشعرية منها؛ فجلها إن لم نقل كلها رحلات حجازية جحية؛ ذلك أن «نفس الرحالين تتوق للحرمين وزيارة البقاع، فالحجاز في نضرهم ليس مجرد بقعة جغرافية؛ لكنها أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة الإسلامية، ولذلك يسجلون عواطفهم المتأججة لرؤية الحجاز وأهله والتبرك بترابه وهوائه ،كما أن الرحلات الشعرية تشترك إن لم تقف الرحلات النثرية في وصف الأحاسيس الدينية والروحية»[27].

ولهذا فقد هيمن الدافع الديني بل وحج بيت الله تعالى على الرحلات الشعرية الفصيحة والعامية (الشعر الملحون) فجاءت جلها حجازية (حجية)، فكل الرحلات المذكورة سابقا رحلات حجازية حجية؛ كرحلة القطب أطفيش، ورحلة الوارجلاني، ورحلة بن المسائب والعامري والمجاجي...، فقد اهتم الرحالون بالشعر وبرعوا فيه فهما وتأليفا، واحتفوا به وجعلوا من مؤلفاتهم شعرا يصف رحلاتهم، وبما أن «نفس الرحالين تتوق للحرمين وزيارة البقاع، فالحجاز في نظرهم ليس مجرد بقعة جغرافية؛ لكنها أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة الإسلامية، ولذلك يسجلون عواطفهم المتأججة لرؤية الحجاز وأهله والتبرك بترابه وهوائه، كما أن الرحلات الشعرية تشترك إن لم تقف الرحلات النثرية في وصف الأحاسيس الدينية والروحية»[28].

يقول الوارجلاني في قصيدته:

كأن فؤادي يوم فارقت مكة أخو نشوة أو عند ليث المقاصر

ضعيف القوى بادي الصبابة هائم شجي الهوى واهي العرى والبصائر

ويقول القطب أطفيش في مطلع قصيدته:

هجرنا مساقط الرؤوس وما نرى سوى الحج إن الحج قد حان أن يرى
فلله حمد فان لذي البقا وحمد فقير للغني عن الورى»[29]

5- طول القصائد:

يتجسد الخطاب الرحلي وتتحدد موضوعاته وفق نمطية السفر، والتجربة، والأوصاف الخاصة بالأمكنة والوقائع؛ ولهذا فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، فقد شملت جوانب الحياة المتعددة من تاريخ وجغرافيا، ورصد لظواهر الاجتماعية، والاقتصادية.

ولما كان الخطاب الرحلي حقلا مشتركا تتفاعل فيه عديد المعارف والفنون، والأخبار والأوصاف الدقيقة ناهيك عن طول الرحلة؛ فقد تحتم على الرحالين نظم القصائد الطوال لتستوفي جميع أخبار رحلاتهم وأوصافها وحيثياتها، فنجد الرحلة الشعرية للوارجلاني ضمت (374) أربعا وسبعين وثلاثمائة بيت شعري، والرحلة العامرية المكونة من (335) ثلاثمائة وخمس وثلاثين وثلاثمائة بيت شعري، أما رحلة البحار ماجد فقد ضمت (1000) ألف بيت، كما ضمّت رحلة القطب مائتين واثنين وثلاثين بيتا (232)، إضافة لرحلة الوارجلاني التي ضمّت ثلاثمائة وأربع وسبعين (374) بيتا.

6- شعر ديني يبرز فيه الاتجاه الإسلامي:

يشكل الدين الإسلامي عنصرا أساسيا في تشكيل معمار الرحلة الشعرية؛ فقد عمد مجموعة من الرحالين وعلماء الدين الذي يتمتعون بتقاليد فن الرحلة وخاصة الحجازية منها والتي يجهز فيها بكثافة «التي لم يعرف لها نظير في تاريخ الرحلات العربية وغير العربية»[30]؛ لما لتلك الأرض الطيبة من جاذبية روحية لتخليد رحلاتهم وكتابة كل أحداثها وما لاقوه فيها.

لقد برع هؤلاء الرحالة في الشعر دراسة وتحليلا وتأليفا؛ فدونوا رحلاتهم شعرا محملا متضمنا لأفكارهم الدينية وعلومه الإسلامية، بل وحتى إشارات لتعلمهم وتعليمهم الفقه والعلوم الشرعية منتقلين في مجملها لذكر المناسك الدينية للحج في بعض الأحيان «بل إنهم كتبوها وهم متلبسون بنسك يؤدونه بعيدا عن الميل الهوى»[31]، هذا ما جعل الرحلات الشعرية تصطبغ وتحمل الطابع الديني والاتجاه الإسلامي، إضافة لتوجه الرجال

الرحالين فهم دعاة ومرشدون ومعلمون وحديثهم لا يخلو من ضمير ديني، ويورد الطابع الديني «لتحقيق التوازن النفسي والروحي للرحال»[32].

فنلحظ الاقتباس من الحديث الشريف والإفتاء في رحلة القطب في قوله:

7- اعتماد البحور الكاملة (المركبة):

كذلك لا ينام منتاط راحلة**** لقول رسول الله أفضل من درى

ألا بوئت من نائم فوق سطحه**** بدون حجار أو حظا ربه احترى

من الله ذمة ومني ولا تكن**** كراسي من ظهور ذي الذي والجرا »

لم يفتأ الخطاب الرحلي، إلا وانفتح على أشكال الكتابة الأخرى، فحقق تركما ضمن دائرة الأدب وأفادت الحقول الأخرى

خضع أثناء الرحلة لمسيرة طويلة من أجل التشكل والتجنس، وتحولت الرحلة من فعل إلى نص وإبداع يستقطب تعددا وتنوعا، بمكونات وخصوصيات تكررت بحسب النوع ودرجات الاهتمام والوعي بالكتابة؛ كل هذا التنوع المعرفي والتعدد الثقافي الذي تضمنه الخطاب الرحلي ألزم الرحال انتقاء البحور الشعرية الكاملة أو المركبة في قصيدته الرحلية (الرحلة الشعرية)، لاستيعابها وقدرتها على احتواء الانفتاح والتنوع في الخطاب الرحلي وما يحمله من أوصاف وآراء وأفكار سعى الكاتب إلى تجليتها.

وقد ظلت القصيدة العمودي تميز الرحلات الشعرية، والوزن والقافية والمحافظة على مصراعي البيت وتعدد الأفكار فيها.

9-تقنية السرد:

تستمد الرحلة سرديتها من عناصرها التكوينية المشكلة أساسا من الانتقال والسفر من مكان لآخر، ومن تلاقيها مع النصوص الأخرى؛ إذ يتحدد السرد في الرحلة وفق استراتيجيات عامة وخاصة أساسها خطية الرحلة المرسومة بنقطة انطلاق ونقطة توقف وما يصحبها من مشاهدات وتأملات وحوارات، ثم نقطة الوصول «إنها إستراتيجية تحصر الزمن وتجدد الفضاء والأحداث المشاهدة المروية والمتخيلة، وما يخضع له الزمن أثناء تحويل الأحداث والوقائع من مجربة معيشة إلى سرد مكتوب»[33]، يتضمن عناصر وتشكلات ترسخ نسيج السرد الرحلي.

ولهذا عدّ السرد أهم العناصر المشكلة لخطاب الرحلة المتعدد الأبنية والمحكيات والمصادر والذي يحكمه بنية السفر، وقد «أفرز السرد الرحلي خصائص وروابط مشتركة تتحول حسب الاستعمال، منها الإيجاز والحقيقة والخصوصية وبساطة الأسلوب إلى بنية متفاعلة أساسها الرحلة الانتقالية الواقعية»[34] التي تبدأ بنقطة وتنتهي في أخرى، ولهذا فقد عدّ كثير من الباحثين الرحلة حكاية سفر من مكان لآخر.

وكما يقول «"جان إفطادييي" إن كل قصيدة هي في مستوى من المستويات محكي...»[35] وانتقال من عنصر لآخر؛ ولذا فإن هيمنة السرد في الخطاب الشعري الرحلي (الرحلات الشعرية)، ينفي تماما «مبدأ مقولة بقاء النوع إذ فيه سمات أدبية ومقولات نوعية تجعله خطابا متعدد الأنواع يتداخل فيه الشعري والسردي بامتياز»[36]، حيث يتمظهر السرد في الشعر دون أن يفقد كل منهما حضوره الفاعل والشاخص الذي لا يخرجه من إطار جنسه وأغراضه وإنما يعلن قدرته على الانفتاح والتجدد.

خاتمة:

ومنه نستخلص أن الرحلات الشعرية وهي رحلات عمد مؤلفوها إلى سردها ونظمها شعرا ووصف كل ما لاقوه فيها بدءاً من لحظة الانطلاق وحتى الوصول في قصيدة مطولة خاصة بالرحلة، وتكتب الرحلات الشعرية على شكلين؛ إما بشعر فصيح أو بشعر ملحون، وتتسم الرحلة الشعرية بأسلوبها الأدبي وقوة عباراتها وجزالتها، وعُدَّ الشعر بنية هامة استند إليها الرحال للقائه بالمتلقي وسرد رحلته بما تحمله من فنون ومعارف وما تنطوي عليه من عوامل نفسية وفنية؛ لما للشعر من جمال فني وقوة في التعبير وقدرة على تمرير الرسائل المختلفة.

تحمل خصائص الشعر العمودي التقليدي، وتتميز بطولها، قصيدة خاضعة لنظام الوزن، منظومة وفق بحر من البحور الخليلية، معتمدة على القافية والروي الواحد في كل القصيدة، التي تنعت وتسمى القصائد باسمه في كثير من الأحيان، وقد اكتسى هذا اللون الشعري حلة جمالية وأهمية بالغة فهو بمثابة مؤرخ لرحلات قام بها فرد أو قبيلة خلّدها الشاعر بقصيدة تتناقلها الألسن وتؤرخ بها رحلة القبيلة، إضافة لكونه يعد همزة وصل بين الأجيال.

أما في الشعر الجزائري فتميز (شعر الرحلة) بالشوق كما ضمنه الشاعر أبعادا جديدة تلائم الطابع المحلي البدوي حينا والحضري حينا آخر، وكانت الرحلة البدوية "القطاعة" استمرارا تاريخيا للرحلة الجاهلية كما وردت في المعلقات.

أما الرحلة الحضرية، فقد أتت تعبر عن الشوق إلى الحارات والأزقة والمواقف (مساجد، أضرحة، أسواق) كما أن شعر الرحلة قد فتح المجال لكي تجود قرائح الشعراء بأروع القصائد التي تعالج موضوع الاغتراب والفراق والشوق إلى الديار والأحبة.

كما تميز شعر الرحلة بعدة أمور منها:

-يُصور جانبا من جوانب النفس الإنسانية.

- أنه ذو طابع غنائي لان الموسيقى توقظ الشعور وتحرك الوجدان لأنه كان يقال أثناء الطريق ومن هذا سمي بأغاني الطريق.

- غلبة الأسلوب الإنشائي في شعر الرحلة باستثناء المشاهد الوصفية.

- عبارة عن وثيقة هامة تدر من خلالها الرحلة والأسفار كما صورها الشاعر.

- تطرق إلى أشكال المسالك المختلفة وأنواع الرحلات والأهداف منها.

- يقدم خدمة جليلة وفائدة عظمى في الحفاظ على الموروث العربي ويساعد في الحفظ عليه من الضياع (تقاليد وعادات الرحلة).

- أما بالنسبة لشعر الرحلة في الملحون الجزائري فقد اختص بـ:

-ارتباط الشاعر الجزائري بتراثه العربي ملونا إياه بطابع محلي يا الورشان، يا القمري بدل ليت الحمام، ويابرق.

- يتجلى فيه مظهر البراعة الجزائرية التي أبدعت في هذا اللون الشعري.

الهامش:

[1]- شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2006م ، ص:129.

[2]- ناصر الموافي ، **الرحلة في الأدب العربي**، دار النشر للجامعات المصرية، جامعة القاهرة، ط1، 1415ه/1995م، ص:41.

[33]- ناصر الموافي ، **الرحلة في الأدب العربي**مرجع سابق، ص:41.

[4]- حسين نصار، **أدبيات أدب الرحلة**، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1991م، ص:101.

[5]- ينظر:شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص: 121.

6.محمد بن منصور العامري التازي المتوفى حوالي 1170ه/1756م، له الرحلة العامرية وهي حجازية حجية نظمها في 335 بيتا عام 1152ه، توجد نسخة منها بالمكتبة الأحمدية بفاس ونسختان بمكتبة الأستاذ محمد المنوني بمكناس إحداها بخط المؤلف ، وقد نشر المنوني نص هذه الرحلة في كتابه ركب الحاج المغربي ص:88. ينظر: الشور السعيد، من مظاهر الوحدة العربية الإسلامية الرحلات الحجازية وصلت بين شقي العروبة، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،الرباط، المغرب، مجلة دعوة الحق، العدد 187.

[7]- عبد السلام بن سودة المري، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1418ه/ 1997م، ص:433.

[8]- المجاجي؛ هو عبد الرحمان المجاجي (القرن 13ه - 19م) عالم بالحديث، وفقيه وأصولي من أهل مجاجة، تعلم بها وبتلمسان، ثم انتقل إلى المغرب وسكن بمدينة فاس، من أثاره التبريج في أخبار المغلرسة، وحاشية على جمع النهاية لعبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأندلسيالمتوفى سنة 695ه. ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويض الثقافية ،بيروت ، لبنان، ط3، 1983م، ص: 286.

[9]- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، الجزء الثاني،1401ه/1981م، ص388.

[10]- القطب أطفيش؛ هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية المالكة في تونس، مجتهد من أكابر العلماء في الفقه والأدب واللغة والتفسير ، ومن رجال النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر، ولد في بني يزقن سنة (1236ه/1820م) وبها تعلم ونشأ، عكف على التصنيف والتدريس والوعظ والارشادإلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه وعمره ستة وتسعون عاما سنة (1332ه/1914م) له عدد كبير من المؤلفات في شتى العلوم.ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويض الثقافية ،بيروت ، لبنان، ط3، 1983م، ص: 19-20.

[11]- محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، رحلة القطب، تحقيق يحيى بن بهون حاج محمد، العطف، غرداية، ط1، 2007م.

[12]- الوارجلاني؛ هو يوسف بن ابراهيم بن مناد السدراتيالورجلاني المعروف بأبي يعقوب ولد سنة (500هـ/ 1106م) بسدراتةبوارجلان (ورقلة) نشأ في سدراتة وتلقى مبادئ العلوم على يد علمائها ثم انتقل إلى الأندلس ليتم تعليمه بها ، حيث أقام سنين طويلة بقرطبة حيث كان متميزا في شتى العلوم ، حيث يعد من أكابر الفقهاء والمفسرين في عصره، إرتقى في العلم درجات حتى ذاعت شهرته في الآفاق، ثم عاد إلى مسقط رأسه منقطعا لخدمة العلم توفي عام(570 هـ/1175م)، له العديد من المؤلفات في أصول الفقه.ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويض الثقافية ،بيروت ، لبنان، ط3، 1983م، ص: 339 وما بعدها.

[13]- أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، تحقيق يحي بن بهون حاج امحمد، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007م.

[14]- أبو عبد الله الحاج محمد بن مسايب أحد فحول الشعر الملحون في الجزائر والمغربالعربي، ولد وترعرع في مدينة تلمسان في القرن الثامن عشر(18) للميلاد إمتهن حرفة الحكاية بالحارة، الشعبية"بابزاير" أحب فتاة في حياته إسمها عائشة خلدها في أشعاره وبعد تأديته لفريضة الحج تفرغ إلى القصائد الدينية التي لا تقل جمالا عن نظيرتها الغزلية. توفي سنة 1180هـ/ 1768م. ينظر: ديوان ابن مسايب، محمد بخوشة، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1370هـ، ص:1-5. وينظر:شعيبمقنونيف، مباحث في الشعر الملحون الجزائري (مقاربة منهجية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003، ص:74. ينظر: محمد بخوشة، الحب والمحبوب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1939، ص:6-7.

[15]- ديوان ابن مسايب، محمد بخوشة، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1370هـ.

[16]- هو أحمد بن تريكي، تصغير تركي، تلمساني الدار والنشأة، شاعر مكثر في الجد والهزل ذاعت قصائده في الجزائر كلها والمغرب، لقب بابن الزنقلي، هو واحد من تلاميذه "سيدي سعيد بن عبد الله المنداسي" توفي في أوائل القرن الثاني عشر (12) الهجري. ينظر: شعيب مقنونيف، مباحث في الشعر الملحون الجزائري (مقاربة منهجية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م، ص:75 – 76.

[17]- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، الجزء الثاني،1401هـ/1981م، ص: 389.

[18]- ينظر: حليفي شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص: 172،171.

[19]- ينظر: شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص: 172.

[20]- الموافي ناصر عبد الرزاق، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1415هـ/1995م ، ص:71.

[21]- أمحمد أطفيش، **رحلة القطب**، تحقيق يحي بن بوهون حاج امحمد، العطف غرداية، ط1، 2007، ص69.

[22]- ينظر: سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ص387-388.

[23]- قداش عزيزة، **شعر الرحلة ابن مسائيأنموذجا**، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، معهد اللغات والأدب العربي، قسم اللغة العربية، 2011/2010، ص42-46.

[24]- شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص184.

[25]- الموافي ناصر عبد الرزاق، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1415ه/1995م.ص71.

[26]- شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص36.

[27]- ينظر: سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ص:387.

[28]- المرجع نفسه،ص:387.

[29]- أحمد أطفيش، **رحلة القطب**، مرجع سابق، ص: 62.

[30]- عيسى بخيتي، **أدب الرحلة الجزائري الحديث**،أطروحة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2015-2016م، ص185.

[31]- عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض السعودية، دط، 1417ه/1996م، ص:11.

[32]- حليفي شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص243.

[33]- شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص:268.

[34]- شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، مرجع سابق، ص:230.

[35]- عطية وهيبة **جمالية التداخل الأجناسي في الشعر القصصي**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، ص:8.

[36]- المرجع نفسه،ص:04.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، تحقيق يحي بن بهون حاج امحمد، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007م.

2. الموافي ناصر عبد الرزاق، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1415هـ/1995م.
3. **احمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، رحلة القطب، تحقيق يحي بن بهون حاج احمد، العطف، غرداية، ط1، 2007م.**
4. حسين نصار، **أدبيات أدب الرحلة**، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1991م.
5. سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، الجزء الثاني،1401هـ/1981م.
6. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، الجزء الثاني،1401هـ/1981م.
7. شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي(التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2006م.
8. عبد السلام بن سودة المري، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1997م.
9. عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض السعودية، دط، 1417هـ/1996م.
10. مباحث في الشعر الملحون الجزائري (مقاربة منهجية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م،
11. ديوان ابن مسايب، محمد بخوشة، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1370هـ
12. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويض الثقافية ،بيروت ، لبنان، ط3، 1983م.
13. معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويض الثقافية ،بيروت ، لبنان، ط3، 1983م.

مقال في مجلة:

1. الشور السعيد، من مظاهر الوحدة العربية الإسلامية الرحلات الحجازية وصلت بين شقي العروبة، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،الرباط، المغرب، مجلة دعوة الحق، العدد 187.

رسالة جامعية:

1. عطية وهيبة **جمالية التداخل الأجناسي في الشعر القصصي**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي.

2. عيسى بخيتي، **أدب الرحلة الجزائري الحديث**،أطروحة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2015-2016م.
3. قداش عزيزة، **شعر الرحلة ابن مسائب أنموذجا**، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، معهد اللغات والأدب العربي، قسم اللغة العربية، 2011/2010.

مجلّة انـــتـحـــــــاء

Intihaa Journal

ISSN :2992-1546المجلد (01) العدد(02)(2024): رقم صفحة البداية105– رقم نهاية الصفحة123

النقد الجزائري بين البوادر والتخصّص

Algerian criticism between trends and specialization

د. بالي وردة

bali.warda@ens-ouargla.dz

مخبر الوسائط التّعليميّة- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة-الجزائر.

تاريخ الاستلام:2024/11/02 تاريخ القبول:2024/11/30 تاريخ النشر:2024/12/07

ملخص:

يحيا الأدب تحت ديناميكية وفعالية النقد ليتطورا معا وبشكل تلازمي حسب حاجيات ومتطلبات كل عصر، ذلك أن طبيعة النقد تخضع لحتمية التطور والتفاعل مع نتائج العلوم الإنسانية في بيئتنا المختلفة، والتي يستفيد منها الناقد في تبرير مقاييسه وإعطائه صفة الموضوعية فالخطاب النقدي لا يستمد استراتيجية من موضوعه بل من الخطابات الإنسانية المتعددة التي تتداخل مع المكونات السياسية والثقافية للمجتمع لتشكل حدود الممارسة النقدية وتنظم قنواتها المختلفة وعليه إذ كان الإبداع باب يطرقه كل صاحب شخصية قوية، واختيار ذاتي واع يحقق به بصمته في الحياة وينسج به قطعة من نفسه فإن النقد فضاء واسع، وقف عديد النقاد منذ طليعة وبوادر الفكر النقدي عنده وقفة مطولة في تحديد ما يجعل الإنسان يبدع معاني غير مسبوق لها يتذوقها المتلقون بالقبول والثناء أو بالرفض وفي هذا التصريح لا يسعنا إلا أن نتساءل عن ما هو مفهوم النقد ؟ وما هي أبرز بوادره في البيئة الجزائرية؟ وهل النقد الجزائري يمثل مرحلة أو مراحل متراكمة؟

وهل ولد النقد من رحم المنهجية مباشرة دون إرهاصات سابقة ومتتابعة كانت هدفا لتطوره؟ وهل كل نقد أكاديمي هو نقد منهجي؟ وما هو نصيب الجمالية بما فيها الذوق من مساحة النقد الذي يعد أهم لبناته المنهج والمصطلح؟

الكلمات المفتاحية: النقد، الأدب، الإبداع، الشعر، النثر...

Abstract

Algerian criticism between trends and specialization Literature lives under the dynamism and effectiveness of criticism, to develop simultaneously and in accordance with the needs and requirements of each era.

This is because the nature of criticism is subject to the inevitability of development and interaction with the results of the human sciences in our different environment, which the critic benefits from in justifying his standards and giving it the character of objectivity. Critical discourse does not derive a strategy from its subject, but from the multiple human discourses that overlap with the political and cultural components of society to form the boundaries of critical practice and regulate its various channels. Therefore, if creativity is a door that every person with a strong personality and conscious self-choice knocks on, he achieves his mark in life and weaves a piece of himself with it. Criticism is a wide space Since the beginning and beginnings of his critical thought, many critics have paused for a long time in determining what makes a person create unprecedented meanings that are appreciated by the recipients with acceptance, praise, or rejection.

In this statement, we cannot help but wonder: What is the concept of criticism?

What are its most prominent signs in the Algerian environment? Does Algerian currency represent an accumulated stage or stages? Was criticism born directly from the womb of methodology, without previous and successive indications that were the goal of its development? Is all academic criticism methodological criticism? What is the share of aesthetics, including taste, in the area of criticism ،whose most important building blocks are method and terminology?

keywords :

Criticism, literature, poetry, prose, creativity.

1. مقدمة

في محاولتنا للإجابة على التساؤلات المطروحة عملنا على التوجه أولا إلى تقديم لمحة عن مفهوم النقد كونه العمود الأساس في ورقتنا البحثية كمنطلق لنقد الأدبي في الجزائر، هذا الأخير الذي لا يمكننا في هذا المقام إلا أن ننعته بالمصطلح المتشعب الذي يحمل في طياته عديد العلوم والفنون فتعددت مفاهيمه بتعدد الإبداع الأدبي (فن القصة وفن الرواية فن المقال فن الشعر ...) و غيرها إلا أننا وسط هذا التراكم المعرفي الزخم سنحاول مقاربة المفهوم من عدة زويا أولها أن النقد فن وثانيها أن النقد علم قائم بذاته وثالثها أن النقد قراءة القراءة التي تنتج كتابة لها مبادئ.

في هذا المقام سنسلط الضوء على هذا الأخير منطلقين بالجانب اللغوي الذي يعد البوابة الأولى لاكتشاف بعض انعراجات وانحرافات المصطلح، فقد امتلأت المعاجم اللغوية بالشروح ولعل أبرزها ما جاء في(لسان العرب) "**لابن منظور**" « تميز الدراهم وإخراج الزيف منها، ... والنقد تمييز الدراهم ... نقدت له الدراهم أي أعطيته، فانتقدها أي قبضها»[1] فمن خلال ما سبق تكاد تتفق جل المعاجم أن مصطلح النقد مصطلح مستورد من سياق الصيارفة لتميز بين الجيد والرديء أي ما يوازي الغربلة والتمحيص وتصفية والتصنيف أما عن الجانب الاصطلاحي فقد وقف عديد الدارسين والنقاد عند مصطلح النقد، هذا الأخير الذي تختلف مفاهيمه تارة و تتفق تارة أخرى وعليه بصعوبة بما كان مصطلح النقد هو « فن تقويم الأعمال الفنية والأدبية ، وتحليلها تحليلا قائما غلى أساس علمي ...أو هو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها، وصحة نصها، وإنشائها وصفتها، وتاريخها »2 ومن جهة أخرى هو فن أو علم التحليل والشرح والتميز وهو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر، وهو كذلك عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية. أو هو تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها،

وبيان قيمتها العامة، والموازنة بينها وبين ما يشبهها من الآثار3 أو هو «دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها وبيان قيمتها ودرجتها»4

من المعلوم أن النقد قديم قدم العملية الإبداعية ومفهومه يختلف من عصر إلى عصر ولكن العنصر المشترك هو التذوق للنصوص الإبداعية فيرى الدكتور "**إحسان عباس**" أن:«لنقد في الحقيقة تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة يبدأ بتذوق، أي القدرة على التميز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم »5 أما "**محمد مندور**" فيعرفه: « النقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها، وذلك على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، فليس المقصود بذلك طرق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء» 6 وفي السياق نفسه تقول الدكتورة "**سهير القلماوي**":« المعنى الدقيق من مصطلح النقد وهو التذوق الذي ينبني على الوصف ثم التحليل ثم الحكم »7 أما النقد عند "الدكتور **إبراهيم الرماني**" فهو « كتابة على كتابة، أو قراءة لكتابة» 8 .

في هذا الطرح جعل من النقد كتابة على كتابة كأنه نقد النقد هذا من جهة وارتباط القراءة بالكتابة هو العلاقة المباشرة بالنص الإبداعي الأول فيفصل أكثر فيقول:« النقد هو اللغة الشارحة أو ما بعد اللغة، هو كلام على كلام وخطاب حول خطاب، يتقصى أعماق النص، يجلي ظلماته، يحدد مؤشراته، يعاني تجربته » 9 ولكننا نجد أنه يُعد النقد إبداع من ناحية معايشة التجربة الإبداعية أو فن له عديد السمات فيقول:« النقد إبداع شامل، تأطير للنص والعالم داخل فضاء لا ينتهي أبدا، انه المصطلح الذي لا يتجمد في مفهوم أحادي الرمز المشبع بالدلالات المتنامية ... النقد مواجهة مع للنص معالجة لإشكاليته. ومن ثمة فهو معاينة للحياة، ومعاناة لأكبر مشكلاتها» 10 بعد سرد "**الناقد إبراهيم رماني**" لصفات النقد بأنه اللغة الشارحة أولا، وهو كلام على كلام أي أن النقد يرتبط بالشفوي والكتابي

وخطاب حول خطاب يعني أنه يتجاوز النص إلى أعماق النص بالتوغل فيه حتى يعاني تجربة المبدع ذاتها.

في ضوء تعددت مفاهيم النقد الأدبي نجد من بينها ما جاء عند عبد الملك مرتاض أن النقد:«هو إنطاقُ المعاني الخرساء النّائمة في الكتابات التي يكتبها الكتّاب الأدباء عبر قرون طوال » 11 كما يقر لنا بحقيقة لطالما مثلت أقطاب تجاذب بين الدارسين ألا وهي هل النقد فنّاً خالصاً؟ أم علماً خالصاً؟ فيجيب« إننا لو سلمنا بعلمانية النقد الأدبي لكنا سلمنا، نتيجة لذلك، بضرورة وضع قيود صارمة للإبداع على نحو لا يستطيع أديب معه أن يبدع ويحلق ويتخيل، ذلك بأن القواعد التي تؤسس للإبداع كثيراً ما تحد من خيال المتخيل، وتضيق على المبدع المتألق ... الإبداع بطبيعة تكوينه، يرفض القيود والقواعد العتيقة التي تعرقل مسيرته، وتساور حريته أما فنية النقد فربما تكون أدنى إلى حقيقة النقد من علميته حيث أن الإبداع في حد ذاته ضرْبٌ، حتما، من الفن الخالص ... أولى له أن يكون شيئاً يرتدي رداء الفنّيّة ليستطيع مقاربة الكتابة الأدبية وقرأتها» 12

في هذا الطرح يبين لنا الناقد أن النقد قوي الاندماج بالفن والعلمية في آن واحد كون الذوق هو أساس الإبداع والبصمة الذاتية والمصطلح والمنهج أهم مؤهلاته العلمية، هذا عن مفهوم النقد عند "**عبد الملك مرتاض**" الذي لم يخرج هو الآخر عن المفاهيم السابقة وعليه يتبين مما تقدم أن المفاهيم جاءت تارة متقاربة وتارة أخرى متناقضة عن النقد الأدبي بصفة عامة لذلك سنتخذ من التركيز عن النقد الجزائري هذا الأخير الذي تتباين فيه الآراء من ناحية المعالم البارزة في التأسيس أدبا ونقداً حيث نجد أن جل الباحثين أدركوا بأن الأدب الجزائري ونقده يحتاج للجمع و الدراسة كيف لا و« أدبنا لم يزل في حاجة شديدة، وأكيدة إلى الجمع والتصنيف، فالكثير منه ما يزال متناثرا في الصحف الجزائرية، وغير الجزائرية، وينتظر أيادي أمينة تنقذه من الضياع والتلاشي، وتضعه بين يدي الباحثين والدارسين...اذ ليس في مقدور كل إنسان، ولا سيما الطلاب الجامعيين الوصول إلى مصادر هذا الأدب الموزعة بين العديد من مكتبات العالم، أو المهملة في الرفوف والخزائن الخاصة »13.

في الطرح السابق إشارة قوية تشير إلى أن الصحافة مادة متشبعة بالأدب والنقد تدعونا في كل مرة إلى ضرورة الجمع والبحث عن بوادر ومنطلقات البكر لأدبنا ونقدنا وعليه إن كلام عديد من النقاد عن تمركز الأدب والنقد الأدبي في الصحف والمجلات العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة، جعلنا نسلط الضوء عن أزمة التأسيس للنقد الجزائري حيث تعددت الآراء حولها خاصة«انه بات من المعلوم عند المهتمين بالأدب الجزائري بأن أضعف جانب فيه، إنما هو جانب النقد، فعلى الرغم من النهضة الأدبية التي برزت مع بداية الحركة الإصلاحية في سنة (1925) »14 إلا أن« المتتبع لتلك النهضة، يصاب بخيبة أمل عندما يلاحظ خلوها وعدم عنايتها بالنقد الأدبي »15، وعليه إن الكلام عن النقد الأدبي الجزائري لا لتميزه أو تفرده عن النقد العربي، بقدر ما هي محاولة لجمع آراء نقدية من البيئة الجزائرية هذه البيئة التي تأخرت فيها النهضة الأدبية، والتي تعد من أبرز مظاهر الأدب؛ كيف لا والكلام عن أي شعب يتطلب الكلام عن« التطورات التي مر بها عبر التاريخ، والتيارات التي أثرت في تكوين عقليته، وصبغت نفسيته، وميزت وجدانه » 16، فمن هنا لا يخفى على دارس أن الأدب الجزائري« يمثل فرعا من فروع الأدب الإسلامي العربي، وبتعبير أدق أنه رافد من روافد الكثيرة التي يكون مجموعها الأدب العربي ثم بتخصيص أدق نجد الأدب الجزائري يختلط ويمتزج بما عرف بأدب المغرب العربي، هذا المغرب الذي يضم إليه الأندلس وتختلط فيه المعالم فنجد أديبا من الجزائر استقر في مدينة القيروان حتى غلب عليه اسم القيرواني ونجد آخر من القيروان انتقل إلى تلمسان فعرف بالتلمساني » 17

وعليه تجاوزا لمفهوم الإقليمية الضيقة ممكن القول أن الأدب الجزائري هو أدب عربي أصيل« يشبه إلى حد كبير كل حديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئته الوطنية... فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي » 18 وعليه فقد مر الأدب الجزائري بمراحل لا يسمح المقام بذكر تفاصيلها، كونها رحلة أقل ما يقال عنها رحلة طويلة وشاقة وشائكة خاصة مع الجو الاستعماري وظلامه الدامس فقد اغتصبت الآمال والأمنيات وخنقت الحريات وعليه ما إن فتح دارس أو باحث سجل الأدب الجزائري إلا وقد لاحظ أو سمع دوي الكلمات القائلة أن الشعب

الجزائري« عاش ... صراعا حقيقيا قبل أن يحقق وجوده كشعب من الشعوب التي تكون الأمة العربية في إطارها الحضاري الإسلامي » 19 كما أن الأدب الجزائري ونقده قد ارتبط ارتباطا وثيقا والتحم التحام انصهاراي بالصحافة كونه مبثوث في ثناياها مقارنة مع الإخوان في المشرق ،ولكن على الأغلب لقد اجتهد الدارسون في تحديد مراحل الأدب الجزائري فمن بينهم "**محمد الأخضر عبد القادر السائحي**" الذي يذكرها باختصار شديد فيرى أنه مر بمراحل وهي على التوالي:

« الانحطاط... الانزواء والانطواء ... ظهور الأدب الشعبي ... مرحلة اليقظة ... مرحلة الأدب الثوري » 20 في هذا البسط قد اعتمد في تصنيف على المضامين الشعرية، ولكننا نجد "**أبو القاسم سعد الله** " فهو مغاير نوعا ما حيث يقسمه إلى أربع مراحل21 وهي على التوالي:

المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة يركز على أنها تنطلق بحملات التي كان يقوم بها بعض شيوخ الجزائر، في أوائل هذا القرن، حين كانت الدعوة إلى نبذ الجديد من ناحية التشكيك في قيمته الفنية والموضوعية، لا باعتبار القديم تحفة فنية خالدة بل بإعداده تراثا قوميا يجب التمسك به من محاولات هذه المرحلة نجد كلا من الشيوخ :"**أبو القاسم حفناوي**" و"**عبد القادر المجاوي**" و"**مولود بن موهوب**" و"**محمد بن أبي شنب**" و"**محمود كحول**" ، فكانت جل محاولاتهم إما محاضرات أو دروس أو ندوات بها آرائهم بواسطة الصحافة المحلية التي أدت دور الوسيط بين الشيوخ وتلاميذهم وجمهور المتلقين.

أما المرحلة الثانية:

فهي الفترة التي ظهر فيها العلامة عبد الحميد بن باديس الذي عمل على تلقين تلاميذه مبدأ المزاوجة بين القديم والجديد، فللقديم محاسنه ورزانته، وللجديد طلاقته وتطوره، حيث يُشهد للعلامة في هذا الصدد بالحذق والبراعة في أسلوبه الإصلاحي البارز.

أما المرحلة الثالثة:

تبرز مع أفكار "**الشيخ البشير الإبراهيمي**" الذي تميز بثقافته الأدبية هذه الأخيرة التي أعطته ميلا خاصاً للنقد والتوجيه فاتخذ من الصحافة – رئيس تحرير البصائر -منبر لقيادة الأجيال خاصة الجيل الجديد في الأدب الذي تكون على يد زميله ورفيق دربه عبد

الحميد بن باديس، فقد كان المنارة للطلاب في شؤون الأدب قديماً وحديثاً بإشاراته وأحكامه التي يشير بها على الطلاب كيف لا وهو صاحب البيان واللسان الطلق وكذا الذاكرة الحافظة.

أما بالنسبة للمرحلة الرابعة:

فقد تمثلت في مجهودين مجهود علمي وآخر أدبي الأول بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس والثاني بقيادة الشيخ الإبراهيمي، وبوادر هذه المرحلة جاءت بعد الحرب العالمية حيث اتخذت من تحرر الأسلوب سمة ومن تحرر المواضيع بصمة، خاصة حين حاولت تطبيق بعض المذاهب النقدية التي أكسبتها بدورها ثقافة معاصرة، كان من نتاجها المذهب الواقعي الذي برز في أعمال **"أحمد رضا حوحو"** وكذا المذهب السلوكي في نتاج أحمد بن ذياب مع احتفاظ الشعر ببعض الخصائص الرومنتكية كالثورة والشكوى، ومن أبرز أصحاب هذه المدرسة نجد: **"حمزة بوكوشة"** و"**رضا حوحو**" و "**ذياب**" و"**عبد الوهاب بن منصور**" و"**مولود الطياب**" الذي كان أكثر هؤلاء نقدا وموضوعية رغم عدم اتصاله بمدرسة البشير الإبراهيمي بل شق طريقه مع مجلة (هنا الجزائر) المحلية الصادرة عن الإذاعة المحلية.

ففي هذه المراحل تطور تدرجي زاوج فيه بين القديم الممثل للأصالة و الجديد سفير الحداثة والتجديد .غير أننا نجد تقسيم الدكتور "**واسيني الأعرج**" الذي وضع فيه بصمة سياسية فيرى أن الأدب الجزائري مر بثلاثة مراحل« المرحلة الأولى تزامن بداية القرن العشرين إلى بداية الحرب العالمية الأولى وكانت هذه المرحلة امتداد للمألوف، شعر و نثرا – المقالة السياسية الاجتماعية – وكانت موضوعاته تقليدية وبسيطة متأثرة إلى حد كبير بالكتابات العربية التراثية وكانت معانيها في مجملها إصلاحية تلامس الظواهر، الاجتماعية، وعرفت هذه المرحلة مجموعة من الكتاب من أمثال "**أحمد كاتب الغزالي**" و"**عاشور الحنفي**" و"**المولود بن موهوب**" » 22 هذه المرحلة تتقاطع إلى حد كبير مع المرحلة الأولى التي ذكرها أبو "**القاسم سعد الله**" أما« المرحلة الثانية تزامنت ما بين الحربين العالميتين وتتسم بابتعاد الأدباء عن الحياة اليومية وكانت نتيجة ذلك أن هرب الكثير منهم إلى اتجاهات سكونية ذات طابع رومانسي أما في ما بعد الحرب العالمية الثانية أي المرحلة الثالثة، فقد

اتجهت الأقلام إلى الشكل الواقعي ومع بداية الثورة وقبلها بدأ هذا التيار الواقعي يأخذ منحنيات تاريخية جديدة ويتفرع إلى اتجاهات تتجاوز المرحلة الانتقالية إلى التبشير بالاستقلال ومجتمع العدالة »23

من خلال ما سبق نلاحظ أن المرحلة الثانية والثالثة قد كان المظهر فيهما هو دخول الأدب في موجة الرومانسية بالنسبة للأولى ودخول الواقعية في المرحلة الثالثة اتصالا بالثورة وتمهيدا للاستقلال. وعليه مما لاشك فيه أن الأدب الجزائري لم يخرج عن ما كان عليه الأدب العربي بصفة عامة رغم التأخر من ناحية الظروف الاستعمارية فقد استخدم كل الوسائل للالتحاق بركب النهضة التي أدخلت على الجانب الأدبي وكذا النقدي تغيرات جذرية فكان الأدب الجزائري بدوره مرحلتين بشكل عام:

الأول: أدب يبدعه صاحبه يقتدي فيه بالكتابات العربية التراثية، حيث موضوعاته تقليدية وبسيطة متأثرة إلى حد كبير وفي مجملها بالرسالة الإصلاحية فكان جوهرها ملامسا للظواهر الاجتماعية، وعرفت هذه المرحلة مجموعة من الكتاب على رأسهم "**أحمد كاتب الغزالي**" و"**عاشور الحنفي**" و"**أبو القاسم حفناوي**" و"**عبد القادر المجاوي**" و"**ملود بن موهوب**" و"**محمد بن أبي شنب**" و"**محمود كحول**".

أما الثاني: هو أدب مطعم بإتباع سنن الحداثة من رومانسية وواقعية استنبطت معالمه فيما بعد الحرب العالمية متخذاً من تحرر الأسلوب والمواضيع هدفا ديناميكيا، خاصة حين وجدوا أنفسهم في مأزق، فمن جهة عليهم الالتزام بقواعد القديم التراثي فهو رمز الانتماء، ومن جهة أخرى فرضت عليهم رغبتهم الفنية في حرية التجديد بجرأة تطبيق بعض المذاهب النقدية التي أكسبتهم بدورها رمز يمثل جذور الأصالة من ناحية اللغة و ثقافة معاصرة من ناحية المواكبة ، فكان من نتاجها المذهب الواقعي الذي برز في أعمال "**أحمد رضا حوحو**" ونتاج أحمد بن ذياب مع خصائص الرومنتكية ومن أبرز رواد هذه المرحلة : "حمزة بوكوشة" و"رضا حوحو" و"**ذياب**" و"**عبد الوهاب بن منصور**" و"**مولود الطياب**" .

فنحن نعني في هذا التصنيف أن التراث عربي أصيل والاقتداء به يصنف في خانة القديم وكل ما هو حداثي ومنشأه في الغرب فهو يصنف في خانة الحداثة يعني أن كل من الرومانسية والواقعية ما هي إلا مشارب من بئر غير عربي ذلك ما جعلنا نصنفها في خانة واحدة رغم الاختلاف في جذورها وفلسفتها.

في هذا السياق يشير جل الدارسون إلى أن بوادر النقد الأدبي الجزائري تتمركز في الصحافة فقد كانت الإشارة لهذا الموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بطريقة صريحة أو مبطنة فمن بين الدارسين الجزائريين نجد:

1- "**عماربن زايد**":

بعد تركيزه على أهمية النقد من ناحية أنه وليد الإبداع وهو الموجه والمرشد فيرى بأنه موازي للحركة الأدبية ويعمل على تطويرها في ظل الأصالة، كما يركز كذلك على أن النقد الجزائري جزء من النقد العربي مغربيا ومشرقيا، فلا يمكن اعتبار النقد الجزائري نقد منغلق أو نقد معزول عن النقد العربي حيث يكفي دليلا على اطلاعه على التفاتات الغربية، رغم ظهور النقد الجزائري حديثا ومتأخرا وبوادره لم تكن ناضجة كما انه اتسم بالنظرة الجزئية والسطحية أحيانا، وسبب ذلك كما لا يخفى على باحث أن الحركة النقدية بدأت في العشرينات من هذا القرن، حين شكل النقد توأمة مع الأدب بدأ التطور خاصة وأن سبب تراجعه تواجد المستعمر ذلك ما جعل الوضع في الجزائر يتسم بخنق الحريات وتمزق جسور التواصل بين الدول العربية الشقيقة؛ ولكن رغم هذا المناخ الثقافي القاتل إلا ان الأدب الجزائري الحديث عرف نقلة نوعية أدبا ونقدا.

كما يرى "**الدكتور عمار بن زايد**" أن الصحافة الجزائرية عرفت مقالات نقدية متفاوتة القيمة فهي جديرة بالنظر والدراسة والتقويم في بناء صرح وكيان نقدي جزائري كما يشاركه في الرأي أستاذه محمد مصايف في كتابه المعنون بالنقد الأدبي في المغرب العربي حيث تناول في هذه الدراسة المتخصصة النقد الجزائري منذ العشرينات إلى الاستقلال.24

2- "**محمد مصايف**": الذي يقر بأن النقد الأدبي في الجزائر عرف عثرات عدة أولها تناثره بين الصحف والمجلات قبل الاستقلال فالأرض مغتصبة والحرية ضائعة

ولكن ما إن نال الوطن الحرية حتى « انتعشت ثقافتنا الوطنية ... بعودة المثقفين الجزائريين المغتربين إلى بلادهم. مما ساعد على ... ظهور صحافة وطنية هادفة، ... إلى تحسين وضع اللغة ... وهكذا تنوعت الصحافة الوطنية، وتعدد الكتاب، وبرزت أنواع أدبية كالقصة والمسرح والشعر الحديث، وواكب هذه الأنواع نقد جزائري حديث» 25

3- **"صالح خرفي"**: الذي يرشدنا إلى ضرورة الالتفات إلى الصحف التي لها قيمة أدبية وبالتالي نقدية فيقول:« فنحن قد نتوهم بأن التراث معناه، المخطوطات فقط. وتنسى أن لنا تراثنا قريبا نسبيا، ولكنه بعيد إلى درجة كافية لتجعلنا حريصين عليه. أعني به تراث العصر الحديث الذي تتوزعه الصحف والمجلات، والحصول عليه وتنظيمه أشق في كثير من النواحي من الحصول على المخطوطات القديمة، وتنظيمها وتحقيقها»26، وهذا عامل آخر من العوامل التي تجعل لهذه الدراسة قيمة في دراستنا الأدبية.

4- **"رضا مالك"**: يركز الباحث عن منطلقات الصحافة في الجزائر ثم الأدب فالنقد فيقول «النقص يكمن بوجه أخص على الصعيد النقدي » 27

من خلال ما سبق يبرز الاتفاق على أن المنشأ الأول للنقد الأدبي الجزائري هو الصحافة حتى لو كان تحت لواء الفنية والنزعة التذوقية على نحو التراكم التراثي القريب فهذا هو سرّ اتفاق الباحثين كما وقد ساهمت هذه الحقائق في إدراك اليقظة التي كانت سببًا في ظهور دراسات في جميع الميادين الإنسانية، فمن هنا إشارة قوية للرجوع إلى الصحف الجزائرية واستنطاق مكنونتها من جديد سواء أن كانت قبل الحقبة الاستعمارية أو بعدها لأن الإبداع والفكر لا يموت مهما طال الزمن.

وعليه سنتخذ من مفهوم النقد عند أهم والنقاد الجزائريين من حيث تطور وتنوع للآراء وعليه في هذه الظروف نستنتج أن هناك أزمة تأسيس* لهذا النقد حتى قال شيخ المؤرخين عن النقد« كيف نتحدث عن النقد الأدبي في الجزائر، بينما نحن لا نعترف أو لا نكاد نصدق أن عندنا أدباً ناضجا شق طريقه مع قافلة الأدب العربي المعاصر، أو الأدب العالمي » 28 ثم نجده يستدرك الأمر بحل توفيقي فيقول« لكن ما دمنا نعترف بوجود

محاولات في الأدب، فمن الحق أن نعترف كذلك بوجود محاولات أخرى في النقد، انها مجرد محاولات تتلائم مع المستوى الفني إنتاجنا الأدبي »29 كما يقول الدكتور **"محمد مصايف"** أن قد« احتاج هذا النقد سنوات ليستوي على ساقه، ويسلك السبيل السوي لبلوغ الحد الأدنى من الجودة »30

من خلال ما سبق نلاحظ أن بوادر النقد الجزائري قبل الاستقلال انتشرت في الصحف والمجلات الجزائرية التي يشير لها الباحثين في كل مرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد من يرجع بوادر الحراك النقدي الجزائري المنهجي وتخصصه إلى الاستقلال ولعل أبرز من وافق هذا الطرح **"الدكتور يوسف وغليسي"** الذي يرى أن النقد بعد الاستقلال قد تطور وازدهر في رحاب الدراسات الأكاديمية ففي كتابه الموسوم ب النقد الجزائري من اللانسونية إلى الألسونية يذكر أنه قدم مسحا شاملا لما يقارب ثلاثين سنة من الممارسة الجزائرية في حقل الكتابة النقدية فيرى (منذ بداية الاستقلال إلى نهاية هذا القرن)أن « تجمع جلّ الدراسات والبحوث التي تناولت المادة النقدية الجزائرية قبل سنة 1961م، على أن لا جدوى للبحث عن خطاب نقدي جزائري يستحق الدراسة والتمحيص ضمن أطر الخطاب النقدي وحدوده المنهجية والاصطلاحية، وكل ما هناك هو مجرد محاولات قليلة وفقيرة »31 في هذا الطرح ينبه على ضرورة التمييز بين المنهج وما يقع في محيطه الدلالي من نعوت منهجية من طريقة واتجاه وتيار ونظرية ومدرسة ومذهب مبين أن لا يمكن إدخالها في خانة الترادف32 ويرى أن المناهج قسمين سياقية ونصانية* ويرجع ذلك إلى أسباب يمكن حصرها في نقطتين.

أولا: من ناحية التحول المنهجي: الذي يقصد فيه التحول من السياقية إلى النصانية على أساس أن تحول المنهج النقدي من التركيز على المحيط النص الخارجي وإحالاته الوثائقية والسياقية، التكونية من التركيز على محيط النص إلى التركيز على النص مجرد مما حوله أي التحول من قراءة النص من إحالاته السياقية الوثائقية الخارجية إلى قراءة النص كبنية داخلية لها علائقها وجماليتها، فهو يقر بأنه أكبر تحول في مسار النقد.

ثانيا: من ناحية التحول من المعيارية والتوجيهية إلى الوصفية والتحليلية وهو تحول ثاني وليد التحول الأصلي من النصانية أو الآلسنية إلى النسقية33 ومن ثمة إن الشعور بأزمة النقد جعلنا نسلط الضوء كذلك على مراحل الأدب بعد الاستقلال التي تعد هي الأخرى المناخ الذي نشأ فيه أدب هذه المرحلة 1962م، وعليه ما هي أهم مميزات هذه المرحلة؟ وما هي أهم تحولاتها التي نشأت في الأدب الجزائري؟

عرف الأدب الجزائري عديد التقلبات بعد الاستقلال، أهمها ظهور الاشتراكية التي تعد اتجاه سياسي فتحت الجزائر عينها عليه بعد الاستقلال، كانت الأولوية فيه للخطاب الأيديولوجي ولكننا سنتوقف بعض الشيء عند الواقعية الاشتراكية في الأدب الجزائري:

«كأية ظاهرة اجتماعية، أو أدبية، تنبع الواقعية الاشتراكية من فراغ. فهناك ظروف اقتصادية وثقافية وتاريخية، تعقدت فيما بينهما لتفرز لنا أسلوب ومنهج الواقعية الاشتراكية. ولتخلق جيلا كاملا حمل مشعلها، وما تزال أسماء مثل جوركي، مايا كوفسكي شولوخوف، ناظم حكمت، ارغون وغيرهم من الذين شقو طريقا جديدا في مطلع هذا القرن، خالدة حتى الآن وهي تزهو اليوم بأسماء خيرة من مختلف البلدان، الذين ورثو زخم الثقافة الانسانية بكل أبعادها ("**برتولد برخيت**")، "**بول أيلور**"، "**باباو نيرودا**" وعشرات الكتاب والفنانين الآخرين » 34 وعليه يرى الدكتور"**واسيني الأعرج**" أنه« من هنا تكتسب الواقعية الاشتراكية بعدها الإنساني، إذ تصبح النتاج الشرعي للتاريخ البشري في تطوره بكل ما يحمل هذا التطور من تناقضات. فالوضع التاريخي الجديد، والنكبات، والاضطرابات الثورية التي أصابت العالم » 35

إن للاشتراكية عديد البديهيات حاولنا التقرب من بعضها مستخلصين أنها مزيج مركب من العلائق يتداخل مع جميع المجالات من بينها الثقافة فالأدب فالنقد فمن بين إفرازات الاشتراكية نجد الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية التي تعد محطة نقدية بارزة في مسار النقد الجزائري.

إن الجدير بالملاحظة هو أن هذه المراحل «شكلت المحاولات النقدية التي عرفتها الجزائر»36 فهي بمثابة الحلقات متواصلة في سلسلة النقد الجزائري؛ وأول حلقاتها هي الممارسة النقدية المتصلة في الصحافة وصولا الى المرحلة الرابعة التي أفرزت تطورا نسبي أكسبنا«تجربة أخصب بفضل التطور الذي اتسمت به حركة الأدب من ناحية، ثم بفضل الضغط الذي حاول أن يوجه الأدب وجهة خاصة، وإن لم يبلغ درجة النقد النزيه الناضج المتطور. ففي هذه المرحلة دخلنا باب القصة العربية وحاولنا كتابة المسرحية الناجحة، وظهر عندنا أدب الخاطرة، وتطورت في كتابتنا دراسة الشخصيات، وتلاقحت أفكارنا بمعطيات جديدة من الشرق العربي ومن أوربا»37 على صعيد شامل أو جزئي نجد أن النقد الجزائري أخد يتطور تدرجيا بتطور الأدب وهذا الأخير الذي« يتطور بتطور حياة الانسان، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور »38 بالرغم من الظروف التي كانت محيطة به من كل الجوانب والسياسية بشكل مركز أثر على الجوانب الأخرى.

واستنتاجا لما سبق نؤكد على نقطة لا يمكن تجاوزها ألا وهي أن جل الدراسات المتخصصة في النقد الجزائري كانت في رحاب المسار الأكاديمي ووليد البحث العلمي فمن بينها التالي:

الباحث	عنوان الدراسة ودرجتها العلمية	التخصص
أبو القاسم سعد الله	كتابه محمد العيد آل خليفة (رسالة ماجستير1961) الذي يعد البوبة الأولى لنقد الجزائري وباكورة الحس المنهجي	نقد التاريخي
عبد الله الركيبي	القصة الجزائرية القصيرة (1928 -1962) (رسالة ماجستير1967)	نقد تاريخي
عبد الملك مرتاض	ماجستير (فن المقامات في الأدب العربي)	نقد تاريخي في بداية

	1970 ودكتوراه الدولة في السربون عن دراسته المعنونة ب (فنون النثر الأدبي بالجزائر)	مشواره العلمي
محمد مصايف	(النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي) (1976) أطروحة الدكتوراه	نقد تاريخي - نقد اجتماعي
صالح خرفي	شعر المقاومة الجزائرية (1966) رسالة ماجستير و أطروحة الدكتوراه في دراسته المعنونة ب (الشعر الجزائري الحديث)	نقد تاريخي
محمد ساري	1992 النقد الأدبي مناهجه و تطبيقاته عند محمد مصايف رسالة ما جستير	نقد اجتماعي
واسيني الأعرج	اتجاهات الرواية العربية في الجزائر 1982 رسالة ماجستير	نقد اجتماعي

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن هذه الدراسات برزت بعد الاستقلال مباشرة ذلك ما جعل الدكتور "**يوسف وغليسي**" في مقدمة بحثه ينفي وجود أي محاولة جادة في النقد الجزائري حيث يقول« أن تجمع جل الدراسات والبحوث التي تناولت المادة النقدية الجزائرية قبل سنة 1961 على أن لا جدوى للبحث عن خطاب نقدي جزائري يستحق الدراسة والتمحيص ضمن أطر الخطاب النقدي وحدوده المنهجية والاصطلاحية »39 فهو يرى أنه قد طرق النقد الجزائري بوابة المنهجية مع النقد التاريخي* والدراسات الأكاديمية هذا الأخير، الذي ولد من رحم الفلسفة المادية الجدلية، كما أن النقد التاريخي يهدف في الأساس إلى« تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكُتاب فهو يعني الفهم والتفهيم أكثر من العناية بالحكم والمفاضلة والنقاد الذين يجنحون إلى هذا النقد يؤمنون بأن كل تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه»40

خلاصة لما سبق نلاحظ أن غاية النقد الأولى هي تطور الأدب حيث يتجاوز رفع أو خفض النصوص بقدر ما يهدف إلى توسل الجمال والفهم والتفهيم وكذا مساعدة المتلقي في التعرف على مواطن الجمال علما أن النقد يخضع لمبدأ خصوصية البيئة، فنجد النقد القديم نابع من بيئة تمثله في مصطلحاته التي من بينها مثلا (عمود – بيت – فحل ...) ، أما النقد الحديث فإن ابرز ما يمثله التعامل مع مصطلحات الوافدة التي تمثل فلسفة غربية جعلت من النص يخضع للمنهج وليس العكس، هذا ما جعل النقد الحديث يقارب النص العربي بمصطلحات ومناهج متوقفة عن الترجمة مبدأ التوفيق الذي يصل أحيانا إلى لي عنق النص باعتبار النقد الغربي لباس صالح لكل المقاييس .

أما عن وظيفة النقد فتختلف من ناقد إلى آخر إلى أنها تهدف في الأساس إلى تطور الأدب، فمن بين وظائف النقد توجهه إلى مقومات الحياة العلمية والفنية والاجتماعية والسياسية بقصد الإصلاح والإعانة على الترقي والهداية العاملين في كل هذه المجلات إلى أقوم السبل41 وعليه تشكل وظيفة النقد وظيفة شاملة لعدة جوانب في الحياة خاصة وأن الحياة في حركة والأدب الذي يشتغل عليه النقد غير قار ويأبى السكون ومن ثمة« إن وظيفة النقد الأدبي هي فن تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية، وقيمته التعبيرية الشعورية، وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب»42 وعليه لنقد وظائف ومهام لعل أبرزها «مهمة التفسير، ومهمة الحكم، أي إصدار الأحكام الأدبية في قضايا الأدب ومشكلاته» 43 كما نجد من أبرز وظائف النقد عند محمد مصايف وظيفة التنبيه فيقول« النقد ... ينبه القارئ إلى الأثر الجديد، ويدفعه إلى اقتنائه وتكوين رأي خاص فيه»44، وعليه يشكل النقد والأدب وجهين لعملة واحدة .

وفي الأخير في داخلنا اعتراف بقوة النقد وهذه القوة تحتاج إلى تفصيل أساسه الذوق والمعرفة، إذ الفرق بين الذوق والمعرفة واضح فقد كان النقد الأدبي الخصم العنيد لأبحاث في شتى المجالات من بينها الإعلام وكذا الصحافة، كما أنّ النقد بوجه عام عرف مراحل عديدة في تطوره قبل أن يرتقي إلى المنهجية فأبرزها الكتابة في الصحافة التي أدت دورا شموليا شكل البوادر والإرهاصات قبل التخصص والمنهجية في رحاب الأكاديمية.

Intihaa Journal
ISSN :2992-1546المجلد (01) العدد(02)(2024): رقم صفحة البداية105– رقم نهاية الصفحة123

1 ابن منظور: **لسان العرب**، مج: 03، (مادة- نقد)، ص: 425.

2 مجدي وهبة وكامل مهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، ط: 02، 1984م، ص: 417.

3 ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، **مدارس النقد الأدبي الحديث**، الدار المصرية، القاهرة، ط: 02، 1995م، ص: 10.

4 أحمد الشايب، **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، ط: 10، 1994م، ص: 115.

5 إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، ط: 04، 1986، ص: 646.

6 محمد مندور، **في الأدب والنقد**، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1973م، ص: 10

7 نبيلة إبراهيم، **نقاد الأدب** سهير القلماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د: ط)، 1999م، ص: 31.

8 ابراهيم رماني، **أسئلة الكتابة النقدية**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، (د:ط) ، 1985م، ص: 03.

9ابراهيم رماني، **أسئلة الكتابة النقدية**، ص :07.

10 ابراهيم رماني، **أسئلة الكتابة النقدية**، ص: 05.

11 عبد الملك مرتاض، **في نظرية النقد**، ص: 29.

12عبد الملك مرتاض، **في نظرية النقد**، ص: 32.

13 محمد ناصر، **رمضان حمود: حياته و آثاره** ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (ط:2) ،1985، ص: 11.

14 محمد ناصر، **رمضان حمود: حياته و آثاره**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (ط:2)، 1985، ص: 57.

15 محمد ناصر، **رمضان حمود: حياته و آثاره** ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (ط:2) ،1985، ص: 57.

16محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مجلة الثقافة، العدد: 70، سنة: 1982م، ص: 81.

17 17محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مجلة الثقافة، العدد: 70، سنة: 1982م، ص: 82.

18أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب في الأدب الجز ائري الحديث**، دار رائد للكتاب، الجزائر، ط: 05، 2007م، ص: 21.

19 محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مجلة الثقافة، العدد: 70، سنة: 1982م، ص: 81.
20محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مجلة الثقافة، العدد: 70، سنة: 1982م، ص: 82.

21 ينظر: أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجز ائري الحديث**، ص: 80.
22 نقلا عن: درويش فاطمة فضيلة، **في سسيولوجيا الرو اية المعاصرة**، دار التنوير، الجزائر، ط: 01، 2013م، ص: 58.
23 نقلا عن: درويش فاطمة فضيلة، **في سسيولوجيا الرو اية المعاصرة**، دار التنوير، الجزائر، ط: 01، 2013م، ص: 58.
24 ينظر: عمار بن زايد، **النقد الأدبي الجز ائري الحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د:ط، 1990م ، ص : 08.
25 محمد مصايف: **فصول في النقد الأدبي الجز ائري الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ط: 02، ص: 05.
26 صالح خرفي، **المدخل إلى الأدب الجز ائري الحديث**، الشركة لوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1983م، ص: 6.
27 رضا مالك، **الصحافة الجز ائرية المكتوبة**، ص: 69.
* يمكن القول أن النقد الأدبي في الجزائر عرف هو الآخر انطلاقته المنهجية مع النقد الأكاديمي، هذا الأخير الذي فتح بوابته عربيا أحمد ضيف منطلقا من فكرة جوهرية مفادها أنه ((من الضروري أن ينفتح العرب على أساليب النقد الحديث، أي الأوربي، ليغيروا أنماط تفكيرهم و أدواتهم. وكان ضيف بهذا من أوائل المؤسسين لفكرة التقابل بين التراث العربي القديم والثقافة الأوروبية الحديثة)) نقلا عن: ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص: 320.
28 أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجز ائري الحديث**، ص:92
29 أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجز ائري الحديث**، ص: 80.
30محمد مصايف: **فصول في النقد الأدبي الجز ائري الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ط: 02، ص: 05.

31يوسف وغليسي، **النقد الجز ائري المعاصر من الانسونية إلى الألسنية**، اصدرات رابطة ابداع الثقافية، الجزائر، (د: ط)، 2002م، ص: 09.
32 ينظر: يوسف وغليسي، **النقد الجز ائري من اللانسونية إلى الألسونية** ، ص: 10.
* نجد الناقد يوسف وغلسي يقول في المتن نصانية وفي العنوان الآلسنية نسبة غلى اللسانيات ونجد النسقية هل يمكن اعتبارها مترادفات تدل على عزل النص عن سياقه الخارجي حين التعامل معه ومقربته نقديا
33 ينظر: يوسف وغليسي، **النقد الجز ائري من اللانسونية إلى الألسونية** ، ص: 11.

34واسني الأعرج، **الطاهر وطار تجربة الكتابة الو اقعية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د:ط)، 1988م، ص: 09.

35واسني الأعرج، **الطاهر وطار تجربة الكتابة الو اقعية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د:ط)، 1988م، ص: 09.

36أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجز ائري الحديث**، ص: 81.

37 أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجز ائري الحديث**، ص: 83.

38عبد الله خليفة ركيبي، **القصة الجز ائرية القصيرة**، الدار العربية للكتاب، الجزائر، ط: 02، 1983م، ص: 06.

39 يوسف وغليسي، **النقد الجز ائري من اللانسونية إلى الألسونية** ، ص: 09.

* يعد هذا المصطلح التاريخي شائع ذلك ما جعل الباحث يوظف له مصطلح آخر يعتبره الأجدر في استيعاب المنهجي وحجته في ذلك أن تسمية التاريخي تصرف الذهن إلى نقد التاريخ ومثل النقد النفسي دلك ما جعله يفضل مصطلح ((التاريخاني)) الذي يعني أن فهم أي شيء يقتضي منا فهم تاريخه في هذا الطرح يستند إلى الجانب اللغوي الغربي كون المنهج وايد الفلسقة والثقافة الغربية .ينظر: يوسف وغليسي، النقد الجزائري من اللانسونية إلى الألسونية، ص: 18.

40 يوسف وغليسي، **النقد الجز ائري من اللانسونية إلى الألسونية**، ص: 19.

41 عبد العزيز عتيق، **في النقد الأدبي**، دار النهضة العربية، بيروت، ط: 02، 1997م، ص: 268.

42محمد عبد المنعم خفاجي، **مدارس النقد الأدبي الحديث**، الدار المصرية، القاهرة، ط: 02، 1995م، ص: 12.

43محمد عبد المنعم خفاجي، **مدارس النقد الأدبي الحديث**، ص: 10.

44 محمد مصايف، **فصول في النقد الأدبي الجز ائري الحديث**، **ص: 50.**